الجمـــهورية الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبيــة

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــة
كليـــــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم:.....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستـر

تخصص:أدب جزائري

تجليات الأنثروبولوجيا في رواية مملكة الزيوان

لـ:" حاج أحمد الصديق"

مقدمة من قبل:

الطالب (ة): **سهى بن دريس**

تاريخ المناقشة: **06/25 / 2025م**

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبـة	مؤسسة الانتماء	الصفة
حنان بن قيراط	أستاذ محاضر أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
لبنى بوخناف	أستاذ محاضر ب	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
راوية شاوي	أستاذ محاضر أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2025/2024م

شكر وعرفان

بعد بسم الله، والحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام الذي حثنا على طلب العلم وجعله سبيلا للارتقاء، وأخرجنا من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة والعلم.

أتوجه بخالص الشكر والتقدير للأستاذة المشرفة "بوخناف لبنى" على توجيهاتها القيمة ومتابعتها الدقيقة لخطوات هذه المذكرة.

وأتقدم بشكر خاص للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة، لما منحوه من وقت لقراءة هذه المذكرة، وعلى ملاحظاتهم القيمة التي ساهمت في إثراء هذه المذكرة.

مقدمـــــــــــــــــة

شهدت الدراسات الأدبية المعاصرة، تحولات جوهرية في مختلف مناهجها وأطرها، حيث تجاوزت المنهجية التقليدية، التي كانت قائمة على المقاربات النصية الشكلية أو البلاغية. لتبدأ في الانفتاح على مختلف العلوم من بينها العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، مما أسهم في إضافة أبعاد تحليلية جديدة لفهم الظواهر الأدبية، وقد حدث هذا الانفتاح استجابةً لتطور الفكر النقدي، وزيادة الوعي بتداخل المعارف، فالأدب ليس منفصلاً عن سياقاته المختلفة، التاريخية والنفسيةو الاجتماعية بل هو نتاج تفاعل بين الأديب، وأدبه، والمجتمع، والثقافة، وبهذا يكون الأدب وثيقة تحمل مجموعة من القيم، والأفكار، والمشاعر، وكذا التجارب الإنسانية، فهو أحد أهمّ الوسائل التعبيرية التي لجأت إليها الشعوب للتعبير عن واقعها، وبالتالي فنقطة التقاء كل من الأدب والأنثروبولوجيا هي الإنسان بمختلف تفاصيله، وهو ما أثرى حقل الدراسات الحديثة بالعديد من الموضوعات الهامة ضمن مجال أنثروبولوجيا الأدب.

تتجلّى أهمية الدراسة الأنثروبولوجية لرواية "مملكة الزيوان" لحاج أحمد الصدّيق، من خلال القاء الضوء على أهمّ التفاصيل الحياتية، وتجسيد الخصوصية الثقافية والاجتماعية للمجتمع التواتي عبر المتن السردي، حيث برز البعد الأنثروبولوجي من خلال التركيز على إظهار هذه التفاصيل ، المتمثلة أساسا في العادات والتقاليد، والممارسات اليومية والمعتقدات الدينية...الخ،وكذا الأبعاد الاجتماعية لما تحمله من نظم اجتماعية معقدة، حيث تعمل الرواية على نقل البنيات الرمزية الكامنة في الممارسات اليومية والموروثاتالشعبية، كماتقدم تشريحاً دقيقاً للعلاقات الاجتماعية والبنى القرابية، وتسلط الضوء على أهم نقطة في بنية العلاقات المتمثلة في الهرمية وإشكالية المركز والهامش من خلال تصويرها للصراع الطبقي السائد في المجتمع القصوري، ممايجعل من الخطاب الروائي وثيقة أدبية/أنثروبولوجية مفصّلة، تقدم قراءة لأهم الملامح الثقافية والاجتماعية، لمجتمع المملكة الزيوانية، من خلال المزج بين الوصف الإثنوغرافي والتخييل الأدبي.

تنطلق دراستنا للرواية من إشكالية أساسية تتمثّل في:

- **كيف ركز حاج أحمد الصديق على تجلي المظاهر الأنثروبولوجية في روايته؟ فيماتجلّت هذه المظاهر؟ وماهي غاياته من توظيفها.؟**

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف الأساسيةأهمها:

- ✓ محاولة الكشف عن الأسس النظرية والمنهجية التي تقوم عليها العلاقة بين الأنثروبولوجيا والأدب.
- ✓ محاولة استنباط وتفكيك مضمرات الرواية
- ✓ رصد النظم الاجتماعية والثقافية الكامنة في رواية مملكة الزيوان
- ✓ السعي لاستنطاق أهم المظاهر الأنثروبولوجية في الرواية.

أما أسباب اختيارنا لهذا الموضوع فهي:

- ✓ الرغبة في الانفتاح على مجال دراسي يجمع بين الأدب والعلوم الإنسانية بمختلف أبعادها والخروج عن الدراسات التقليدية.
- ✓ محاولة تقديم قراءة أنثروبولوجية تمسّ الخصوصية الثقافية والاجتماعية داخل الرواية.
- ✓ قلة الدراسات الانثروبولوجية التي وجهت اهتمامها للمجتمع التواتي وبنياته الأنثروبوثقافية.

ولتحقيق غايتنا المنشودة، تمّ تحديد عنوان البحث بـــ: تجلّيات الأنثروبولوجيا في رواية مملكة الزيوان لحاج أحمد الصدّيق.

قسَّمنا بحثنا هذا وفق منهجية البحث العلمي،إلى فصل نظري، وفصلين تطبيقيين، قدمنا في الفصل النظري، الموسوم بـ: الأنثروبولوجيا والأدب، وتطرقنا من خلاله للجوانب النظرية للموضوع، بداية من تحديد مفهوم الانثروبولوجيا من الناحية اللغوية والاصطلاحية، والإشارة لأنواعها وفروعها، من بينها الاجتماعية والثقافية، وتحديد أبرز أهدافها، وصولا لعلاقتها بالأدب.

أمّا بالنسبة للفصل الأول المعنون بـ: **تجليات الأنثروبولوجيا الاجتماعية في رواية مملكة الزيوان،** فقد أشرتُ من خلاله إلى أبرز المظاهر الأنثروبوإجتماعية، التي تمثلت في نظام العلاقات الاجتماعية، بما فيه: نظام الزواج، والقرابة، وكذا الصداقات، والجيرة، التي تعتبر من أهم النظم الاجتماعية في روايتنا، كما حاولتُ إبراز البنية المكانية للرواية، وتطرقت لأهم النظم المكانية، المنفتحة على أبعاد رمزية، وأبرزها: البيت، ونظام الفقارات، ونظام التعليم.

أمّا الفصل الثاني، فقد جاء بعنوان:**تجليات الأنثروبولوجيا الثقافية في رواية مملكة الزيوان،** فقد أبرزت الموروث الشعبي للمجتمع التواتي، كونه مرآة عاكسة لثقافة المجتمع، وما يحمله من عادات وتقاليد، تطرقت فيها لبعض العادات المتعلقة باللباس، والطعام، كما تحدثت عن الموروث اللفظي الذي تجلّى في الأغاني، والأمثال لترجمة الواقع الشعبي والثقافي في المملكة الزيوانية، وتحدثت أيضا عن أبرز المعتقدات الدينية بما فيها من سحر واعتقاد بالأولياء، تعبيرا عن التفكير والممارسات السائدة في المجتمع القصوري، والمكونة لثقافته.

وفي الأخير ذُيّل هذا البحث بخاتمة جمعنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من دراسة رواية مملكة الزيوان.

اعتمدنا في بحثنا **على المقاربة الأنثروبولوجية**،فقد ارتأينا أنّها الأنسب لقراءة وتحليل رواية "**مملكة الزيوان**" لأنها تعكس نسيجًا إجتماعيًا غنيًا بأنظمة القرابة والزواج، والطقوس والمكان، مما يتطلب تحليل أنثروبولوجي مُعمّق،وهذا المنهج يُمكّننا من كشف الأبعاد الرمزية والبنى الاجتماعية المضمرة في الخطاب الروائي، وربطها بالسياق الثقافي الذي تنتمي إليه، مما يُبرز دلالات الخطاب الروائي بشكل أعمق، إلى جانب اعتماد مقولات المنهج الوصفي فيما يتعلّق بـ: وصف المظاهر الحياتية وتفاصيلها، وكذلك بعض مقولات المنهج التاريخي من خلال تتبّع أصول الظواهر الثقافية والنظم الاجتماعية داخل الرواية .

ومن أبرز المراجع التي اعتمدناها في هذا البحث:

- ✓ **عيّاد أبلال، أنثروبولوجيا الأدب –دراسة أنثروبولوجية للسرد العربي–**
- ✓ **باية غيبوب، الشخصية الأنثروبولوجية العجائبية رواية " مائة عام من العزلة "لغابرييل غارسيا ماركيز أنماطها، مواصفاتها وأبعادها.**
- ✓ **قصي الحسين، مدخل إلى علم الإنسان–الأنثروبولوجيا–**

وقد واجهتُ بعض الصعوبات في إنجاز هذه الورقة البحثية، من بينها، قلة المراجع الورقية وصعوبة الحصول عليها، وقلة الدراسات والأبحاث في مجال أنثروبولوجيا الأدب.

وفي الأخير الحمد لله على توفيقه لإنجاز هذا العمل، وكل الشكر والامتنان للدكتورة:**بوخناف لبنى**، على كل ما قدمته لي من معلومات، وإرشادات، وعلى كل ما منحتهُ لي من وقتها الثمين، في متابعة إنجاز هذا البحث خطوة بخطوة.

فصّل نظري

الأنثروبولوجيا والأدب

أولاً: مفهوم الأنثروبولوجيا:

تُعتبر الأنثروبولوجيا علما شاملا يتقاطع مع مختلف العلوم مثل علم الاجتماع، علم النفس، البيولوجيا...، وهي لا تقتصر على دراسة الإنسان ككائن بيولوجي فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى فهم الثقافة، والمجتمع،....الخ، والتطور البشري عبر العصور، مما يجعلها جسرًا بين العلوم الإنسانية والعلوم الدقيقة، كما أنها متّصلة بنشأة الكون وتطوره، وذلك لارتباطها بالإنسان والمجتمع، وهذا ما يجعلنا نطرح تساؤلا حول مفهومها الاشتقاقي والاصطلاحي.

أ- التعريف الاشتقاقي:

تعرف كلمة أنثروبولوجيا بـ " **علم الإنسان**" **و "الكلمة مشتقة من كلمتين يونانيتين هما: أنثروبوسAnthropos بمعنى "الإنسان" ولوجوسLogos بمعنى " علم " ومن ثم فالترجمة الحرفية هي علم الإنسان"**[1]

ب – التعريف الاصطلاحي:

تُعرف الأنثروبولوجيا بأنها" **دراسة الإنسان أو هي العلم الذي يدرس الشعوب البدائية والشعوب الحداثية والأساليب التي يعتمدون عليها في معيشتهم** "[2]أي أنَّها علم شامل يدرس الإنسان في أبعاده البيولوجية، والثقافية، والاجتماعية، متجاوزا الثنائية التقليدية المتمثلة في "البدائي" و"الحداثي" لتركّز على تنوع التجربة الإنسانية، من خلال منهجيات مثل الملاحظة، المشاركة، تَكشف عن المعتقدات الشعبية والبنى الثقافية والاجتماعية، لتعيد تعريف بعض المفاهيم، كالتقدم والهوية. بوصفها علمًا مقارنًا ونقديًا، وتعمل الأنثروبولوجيا كأداة لفهم الفرد والجماعة الإنسانية، مؤكدةً أن دراسة "الآخر" هي في جوهرها استكشاف لذاتنا وتحدّياتنا التي نعيشها في جماعات بشرية.

[1] **مُحَمَّدعبده محجوب،دراساتسوسيوأنثروبولوجية،نظريةوحقلية،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،مصردط،دت،ص27.**

[2] **المرجع نفسه، ص61**

وقد" **درج الجغرافيون العرب إلى تسمية الأنثروبولوجيا منذ نيف وثلاثين سنة باسم الدراسات البشرية باعتبارأن كلمة بشر تشير إلى الجوانب الفطرية أو السلالية في الإنسان"**[1]، حيثربطوا الأنثروبولوجيا بدراسة المجتمعات الفطرية أو البدائية، وتركوا دراسة المجتمعات المتحضرة لعلم الاجتماع، ومع تطور العلوم توسعت الأنثروبولوجيا لتشمل دراسة كل المجتمعات والثقافات بما فيها المتحضرة والمتطورة،كماتُعرف الأنثروبولوجيا أيضا بأنها علم شامل يُعنى بدراسة الإنسان في مختلف أبعاده فهي"**علم يجمع بين ميادين و مجالات متباينة و مختلفة بعضها عن بعض اختلاف علم التشريح عن تاريخ تطور الجنس البشري والجماعات العرقية، وعن دراسة النظم الاجتماعية من سياسية واقتصادية وقرابيةودينية ... وكذلك عن الإبداع الإنساني في مجالات الثقافة المتنوعة** "[2].

تتباين الأنثروبولوجيا في موضوعاتها ومناهجها كما يتباين علم التشريح عن تاريخ تطور الأجناس البشرية، ودراسة البنى الاجتماعية بكُل تجلياتها من نظم سياسية واقتصادية وقرابية ودينية، وتعتبرها نسيجاً متكاملاً في المجتمعات البشرية،كما أنّها لا تقتصر على الجوانب المادية والاجتماعية فحسب، بل يمتد ذلك لاكتشاف البُنى الثقافية بمختلف أشكالها، مما يجعل من الأنثروبولوجيا علماً فريداً يربط بين مختلف العلوم في رؤية متكاملة ومقارنة للإنسان،وهذا ما نجده يتوافق مع تعريف (إدوارد تايلورEdward Tylor)حيث يرى أنها"**الدراسة البيوثقافية المقارنة للإنسان**"[3]، أي أنها تكشف الفرق بين بيولوجية الإنسان وموروثه الثقافي، وتحاول الكشف عن العلاقة بينهماوالأنثروبولوجيا باختصار" **تمسك بمرآة ضخمة أمام الإنسان و تتيح له النظر إلى نفسه ليرى ما فيهامن اختلافات لا حد لها** ... "[4]وتجعله يدرك ذاته و كينونته دون غيره من الكائنات الحية،

---

[1] **مُحَمَّد عبده محجوب، دراسات سوسيوأنثروبولوجية، مرجع سابق، ص 28**

[2] **عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان–الأنثروبولوجيا– اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط،2004، ص14.**

[3] **لبنى بوخناف، تجليات الأنثروبولوجيا في الخطاب الروائي لإبراهيم الكوني، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث، إشراف: وردة معلم، جامعة 8ماي 1945، قالمة، كلية الآدب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي (2019– 2020)، ص 21.**

[4] **شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا –إنجليزي– عربي،دار الكتاب، ط 1، 1981، ص 5.**

فتبقى الأنثروبولوجيا علما يختص بالإنسان، ويحاول الغوص في دراسته وفهمه و إدراك ماهيته، وطريقة عيشه وتأقلمه مع تغيرات الحياة و تقلباتها .

ومنهُ نجد أن أغلب التعريفات السابقة، قائمة على التوافق الّذي يعكس تطور المفهوم من التركيز على المجتمعات "البدائية" إلى كونه علمًا شاملًا يدرس الإنسان في كل مجالاته، واعتبارها علمًا مقارنًا ونقديًا، يسعى لفهم الإنسان عبر دراسة تنوعه الثقافي ووحدته البيولوجية، مع التركيز على التفاعل بين هذه الأبعاد المختلفة.

تكوّنت الأنثروبولوجيا عبر العصور، وكانت أول إرهاصاتها مع المؤرخين والرحالة في رحلاتهم لاكتشاف العالم والشعوب، ففي العصر القديم "**جمع معظمعلماء الأنثروبولوجيا أن الرحلة التي قام بها قدماء مصر عام 1493(قبل م) إلى بلاد بونت(الصومال حاليا) من أقدم الرحلات بهدف التبادل التجاري التي أسهمت في التعارف بين الشعوب، وعند اليونان القدماء كان المؤرخ (هيرودتس) أول من صور أحلام الشعوب و عاداتهم(تقريبا 50 شعبا) ويعتبره معظم مؤرخي الأنثروبولوجيا الباحث الأنثروبولوجي الأول في التاريخ، وهو قائل المقولة الشهيرة ‹‹ مصر هبة النيل››،ويعتقد الكثير أن منهجه ينطوي على أساسيات المنهج الاثنوجرافي . أما عند الرومان فقد احتوتأشعار (كارلوس لوكرتيوس) بعض الأفكار الاجتماعية الهامة التي عرضها في ستة أبواب واستعملالباب السادس لعرض فكرتي التطور والتقدم وتحدث عن الإنسان الأول** ..."[1]،وتشكّل هذه الإرهاصات التاريخية دليلاً على الجذور العميقة للأنثروبولوجيا التي تعود إلى الحضارات العتيقة، فتجسّد رحلة مصر إلى بلاد بونت ونصوص هيرودوت- Herodot و لوكريتيوس- Lucretiusالبوادر الأولى للاهتمام الإثنوغرافي بالاختلافات الثقافية.

يُبرزُ هذا التتبع التاريخي أسبقية الدراسات الأنثروبولوجية، على التنظير الأكاديمي الحديث، حيث نجد أنَّ كتابات هيرودوت كانت أول محاولة لوصف الشعوب البدائية، للمنهج الإثنوغرافي

[1] **ينظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان،دمشق،سوريا،مرجع سابق، ص 23-24.**

القائم على الملاحظة والتسجيل، كما تكشف هذه النماذج عن الوعي المبكر بالتطورات الثقافية والتبادلات الحضارية التي شكلت في أيامنا هذه محاور أساسية في الأنثروبولوجيا، مما يؤكد على استمرارية الاهتمام بالإنسان كموضوع للدراسة عبر كل العصور.

ونجد أن الصينيين القدماء لم يهتمو بالثقافات الأخرى خارج حدودهم لأنهم اعتبروا أنفسهم أعظم الخلق، وأقاموا سور الصين العظيم تأكيدا لهذا الواقع حتى لا تداس أرضهم بأقدام الآخرين إلا أن تاريخهم لم يخل من بعض الكتابات الوصفية لعادات الجماعات البربرية التي كانت تتسم بالازدراء و الاحتقار، "**وظهرت محاولات للكتابة عن بعض الشعوب– في العصور الوسطى – في أوروبا خاصة غالبا بالوصف التخيلي، وربطت الحضارة والتقدم بالدول الأوروبية، أما عند العرب من منتصف (ق 7م)إلى (ق 14 م) تقريبا فكانت الفتوحات الإسلامية سببا في الاهتمام بأحوال الناس في البلاد المفتوحة في سبيل الحكم، فبرز العرب في وضع المعاجم الجغرافية و الموسوعات الكبيرة واعتمدوا على المشاهدة و الخبرة الشخصية وهذا ماجعلها مادة خصبة من ناحية المنهج الأنثروبولوجي في دراسة الشعوب والثقافات، كما تميزت رحلات ابن بطوطة بالطابع الأنثروبولوجي الذي برز في اهتمامه بالناس ووصف حياتهم وأنماط سلوكياتهم وقيمهم وتقاليدهم، كذلك كتاب ابن خلدون الذي تعتبر مقدمته عملا أصيلا في تسجيل الحياة الاجتماعية لشعوب شمال إفريقيا** .[1]حيثاتسم الصينيون بالعزلة والتفوق الثقافي الذي حاولوا الحفاظ عليه، وكرسوا وقتهم في الانغلاق على أنفسهم، وظهر ذلك من خلال بناءالسور العظيم، خوفاً من الاختلاط بالبرابرة. أما الموقف الأوروبي الوسيط، فقد كان في إطار التخيل والمركزية الحضارية،واختلف الأمر بالنسبة للعرب، فقد قدموا إسهامات مميزة، في الفتوحات الإسلامية، حيث ارتبط اهتمامهم بالشعوب وضرورة الحكم والإدارة، مما ساهم في إنتاج معاجم جغرافية وموسوعات تعتمد دقة الملاحظة المباشرة، وتمثلت في رحلات ابن بطوطة، التي جمعت بين الوصف الإثنوغرافي والتحليل الثقافي،بالإضافة لابن خلدون

[2]**المرجع نفسه، ص 31–39.**

التأسيسي وتحليله العقلاني للعمران البشري، مما يجعل هذه الكتابات نموذجا أول للأنثروبولوجيا الاجتماعية.

وقد كان للمفكرين العرب إسهامات كبيرة في هذه الفترة في التأسيس لبدايات علم الأنثروبولوجيالاسيما أنمدوناتهم تعتبر مصدرا أنثروبولوجيا بامتياز، وكان عصر النهضة الأوروبية أو ما يسمى بعصر التنوير يسود فيه الفكر الأنثروبولوجي الذي تجلى في كتابات العديد من الفلاسفة و الباحثين والمؤرخين، وشكّل الملامح النظرية الأولى لعلم الأنثروبولوجيا الذي بدأ يستقل بذاته مع بداية القرن العشرين، ويتبلور بمنطلقاته وأهدافه في النصف الثاني من القرن ذاته، وهكذا كان تطور هذا العلم بتطور الفكر الإنساني على مرّ العصور حتى وصل إلى علم مستقل بذاته وهو العلم المتعارف عليه في وقتنا هذا والذي تعددت واختلفت تعاريفه من مفكر لآخر أشهرها:

- ✓ **علم الإنسان.**
- ✓ **علم الإنسان وأعماله وسلوكه.**
- ✓ **علم الجماعات البشرية وسلوكها وإنتاجها.**
- ✓ **علم الإنسان من حيث هو كائن طبيعي واجتماعي وحضاري.**
- ✓ **علم الحضارات والمجتمعات البشرية.**[1]

إذنومما سبق يمكننا القول أنّ الأنثروبولوجيا أو ما يعرف –بعلم الإنسان– مرت في نشأتها بمراحل عديدة يمكننا نقسيمها على النحو الآتي:

أولا: العصر القديم[2]**:**

1 عند الإغريق(اليونان): نجد كتابات (هيرودوتس)الذي يعتبر الباحث الأنثروبولوجي الأول في التاريخ من وجهة نظر أغلب الأنثروبولوجيين.

[1] **ينظر: عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان،مرجع سابق، ص 23–24.**

[2] **المرجع السابق،ص 23–24.**

2 عند الرومان: برزت في أشعار (كاروس لوكريتيوس) كتابات عن الإنسان الأول.

3 عند الصينيين القدماء: ظهرت بعض الكتابات الوصفية لعادات الجماعات البربرية.

ثالثاً: العصور الوسطى

1 في أوروبا: اتسمت الكتابات بالوصف التخيلي.

2 عند العرب: برزت كتابات المفكرين العرب أمثال ابن بطوطة وابن خلدون التي تميزت بوصف الناس وحياة الشعوب واتسمت بالمشاهدة والتدوين.

ثالثا: عصر النهضة الأوروبية:

ما يعرف بعصر التنوير–حيث نرى بداية تشكل الملامح النظرية الأولى في كتابات الفلاسفة.

ثانيا: انواع الانثروبولوجيا:

برزت تخصصات وأنواع الأنثروبولوجيا المختلفة لتمكن الدارسين من اكشاف الظواهر البشرية بمنهجية علمية متعمقة تعددت هذه الأنواع متمثلة في المخطط الآتي[1]:

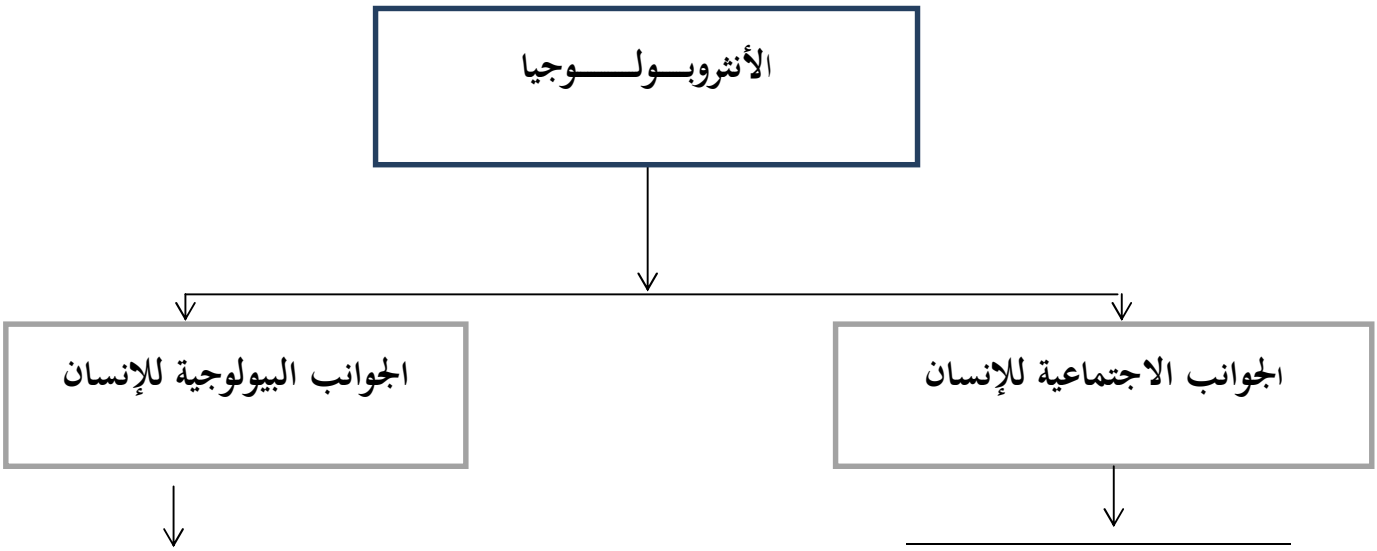

[1] لبنى بوخناف،أطروحة دكتوراه،مرجع سابق، ص27.

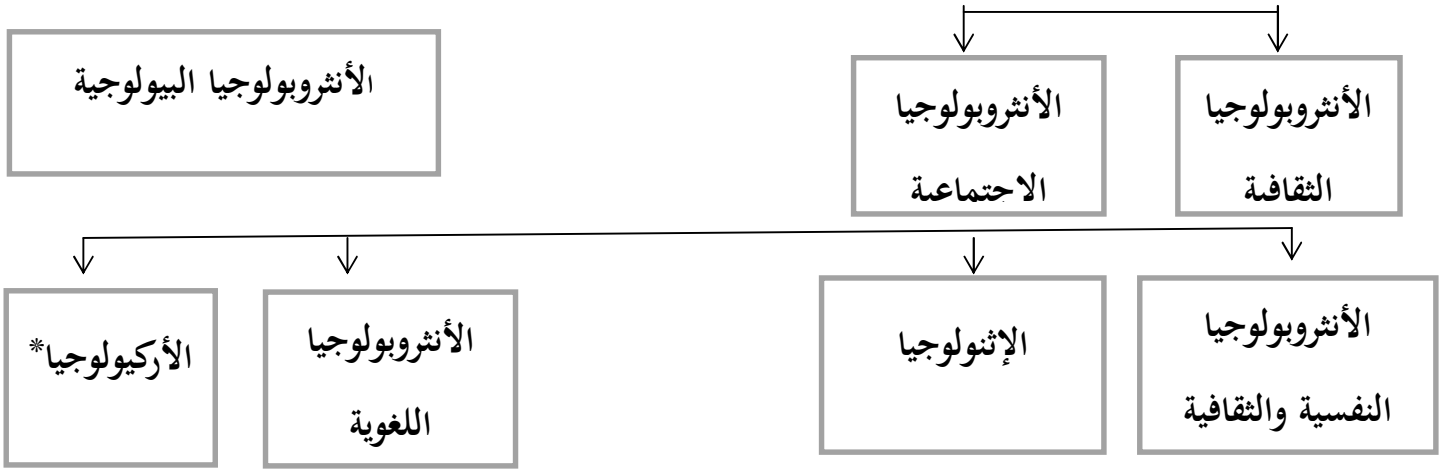

يوضح لنا هذا المخطط السابق تفرع الأنثروبولوجيا وتجذرها وانفتاحها على كل ما يخص الإنسان من جوانب عدة: اجتماعية وأخرى بيولوجية، كما يبرز شموليتها في دراسة الإنسان من خلال فروعها الاقتصادية منها والسياسية، الدينية والثقافية، ومن هنا سنتطرق لطرح مفاهيم بعض هذه الأقسام فيمايلي:

1.الأنثروبولوجيا الطبيعية:

تعرف الأنثروبولوجيا الطبيعية أو العضوية أو الفيزيائية بأنها"**تهتم بمسألة ظهور الإنسان ابتداء من الصور الحيوانية كما تهتم بالصفات البيولوجية للأجناس**"[2]، وبالتالي فهي تعنى بدراسة الجوانب البيولوجية والفيزيائية للأجناس البشرية بما في ذلك "**تطور الإنسان بدءا من أشكال حيوانية وتوزعه الحالي في جماعات عرقية متميزة بصفات تشريحية أو فيزيولوجية** "[3]مما يعني أنَّ الأنثروبولوجيا الطبيعية ، تعتبر من أهم الحقول العلمية التي تجمع بين المنظور التطوري والدراسة البيولوجية للإنسان،

***الأركيولوجيا: علم الآثار القديمة، فرعا من الأنثروبولوجيا يدرس علم الآثار القديمة ، يعتمد جمع المخلفات و تحليل المعلومات المستنبطة من الحفريات ثم وصف الأدوات التي يعثر عليها وصفا دقيقا و تصنيفها، مع التركيز على المعلومات المتعلقة بالتسلسل الزمني.**

[2]عبد الوهاب جعفر، البنوية في الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها، دار المعارف، جامعة الإسكندرية، مصر،(د، ط)،1989، ص 28.

[3] كلود ليفي شتراوس،الأنثروبولوجياالبنيوية،ترجمة: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي،دمشق، دط، 1977،ص405.

مع تركيز تام على أصوله الحيوانية وتمايزه العرقي.حيث تبحث في المسار التطوري للإنسان انطلاقًا من أسلافه من الرئيسيات، وتستعين بالحفريات وعلم الوراثة لتتبع التحوّلات التشريحية والوظيفية، ومن ناحية أخرى، تدرس التنوع البيولوجي الآني بين الأجناس البشرية.

يعرفها بعض الدارسين عامة "**بأنها العلم الذي يبحث في شكل الإنسان من حيث سماته العضوية والتفسيرات التي تطرأ عليها بفعل المورثات، كما يبحث في السلالات الإنسانية، من حيث الانواع البشرية وخصائصها بمعزل عن ثقافة كل منها** "[1]أي أن الأنثروبولوجيا البيولوجية تركز على فهم كيفية التطور البشري ونتيجة تفاعل العوامل البيولوجية والثقافية على الإنسان، ومنهُ فهي حقل علمي يدرس البنية العضوية للإنسان وسماته البيولوجية، مع التركيز على التحولات التطورية التي تشكّلت عبر آليات الوراثة والانتقاء الطبيعي، كما يهتم هذا التخصص بتحليل التباينات السلالية بين المجموعات البشرية من خلال رصد الخصائص الظاهرية والجينية، وذلك ضمن إطار تحليلي يستثني العوامل الثقافية،ونجدها تهتم بمجالات ثلاثة هي:

" أ- المجال الأول: ويشمل إعادة بناء التاريخ التطوري للنوع الإنساني ووصف التفسيرات التي كانت السبب في انحراف النوع الإنساني عن السلسلة التي كان يشترك بها مع صنف الحيوانات الرئيسية أي دراسة الإنسان وتطوره من أشباه البشر إلى الإنسان الحالي.

ب- المجال الثاني: يهتم بتفسير التفسيرات البيولوجية عند الأحياء من الجنس الإنساني وتمتد هذه الأبحاث لتشمل: العلاقة الكامنة بين "التركيب البيولوجي" و"الثقافة والسلوك".

ج- المجال الثالث:وهو تخصص هام في علم الانثروبولوجيا العضوية ويبحث في: علاقاتها مع بيئتها، تطورها، سلوكها الاجتماعي أي دراسة الرئيسيات لفهم السلوك البشري وتطوره. والتركيز على اختلاف الكائن الإنساني عن غيره من الرئيسيات يضم خمس تأثيرات محددة تدخل في سياف الأنثروبولوجيا العضوية وهي:

[1] **عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان،مرجعسابق، ص 17.**

1 نشوء الكائن الشبيه بالإنسان.

2 التركيب الوراثي للإنسان.

3 نمو الإنسان وتطوره.

4 المرونة الموجودة في بيولوجيا الإنسان وقدرة الجسم على التكيف.

5 التركيب البيولوجي وما يتبعه من نشوء وسلوك وحياة اجتماعية والقدرة والرئيسيات الأخرى".[1] حيثتهدف هذه المحاور مجتمعةً إلى فهم الإنسان ككائن بيولوجي متطور، مع الأخذ في الاعتبار تأثير العوامل البيئية والثقافية على تكوينه العضوي وسلوكه.

كما تقسم الأنثروبولوجيا البيولوجية إلى أقسام، ونذكر فرعين أساسيين هما:

أ- فرع الحفريات البشرية (Paleontology):

هو العلم الذي يدرس الجنس البشري منذ نشأته ومن ثم مراحله الأولية وتطوره من خلال الحفريات والآثار المستكشفة أي " أنه يدرس الحفريات والآثار المتعلقة بتطور الإنسان وأسلافه والهدف الذي يسعى له هذا النوع (الفرع) ومحاولة معرفة ما يجهله الإنسان القديم من خلال الحفريات التي تكشف عن بقاياه وآثاره وما خلفه وراءه من أدوات ومحاولة تحليل ودراسة هذه المكتشفات لمعرفة أسباب التغيرات المرحلية في شكل الإنسان، كما تساهم في فهم علاقة الإنسان القديم بالإنسان الحديث الذي أصبح كما هو عليه الآن. وقد برهنت العديد من الحفريات التي اكتشفت في هذا المجال على أن الإنسان القديم الذي كان يعيش على هذه الأرض منذ ما يقرب نصف مليون سنة، كان يختلف اختلافا جسمانيا وبيولوجيا عن الإنسان الحالي حيث كان أكبر حجما وأقوى بنية إضافة إلى بروز فكيه وغور عينيه وعرض جبهته...[2]

[1] ينظر: المرجع سابق،ص 17.

[2] المرجع السابق،ص17

ب– فرع الأجناس البشرية أو الأجسام البشرية (somatology):

وهو العلم الذي يدرس الصفات العضوية للإنسان البدائي(المنقرض) والإنسان الحالي من حيث الملامح الأساسية والسمات العضوية العامة، لذا جهد علماء الأجسام على دراسة الأصناف البشرية وكشف الفروقات بينها مع محاولة معرفة أسباب هذه الفروقات...

ويلاحظ أن اهتمامهم انصب على تصنيف الأجناس البشرية المختلفة على أساس العرق وإيجاد العلاقات المحتملة بين هذه الأجناس، مما يعني أن فرع الأجناس البشرية يدرس التغيرات البيولوجية التي تحصل بين مجموعات إنسانية في مناطق جغرافية مختلفة على أساس تشريحي ووراثي وذلك من خلال المقارنة مع الهياكل العظمية للإنسان القديم الموجودة في المقابر المكتشفة حديثا، وهذاما ساعد في وضع التصنيفات البشرية على أسس موضوعية وعلمية يمكن الاعتماد عليها في دراسة أي من المجتمعات الإنسانية.[1]

وممّا تقدم يمكن القول أن الأنثروبولوجيا البيولوجية مفتاح لكشف أسرار التطور البشري عن طريق دراسة التاريخ العضوي للإنسان بداية من الإنسان المنقرض وصولا للإنسان الحديث.

2.الأنثروبولوجيا الاقتصادية

تُعدّ فرعا من فروع الأنثروبولوجيا تدرس" **أساليب التنظيم الجماعي التي تنتج وتوزع السلع اللازمة لحياة المجتمعات البشرية (...) وينظر (هارت) إلى الأنثروبولوجيا الاقتصادية بأنها المنتوج الذي نتج عن تجاور تخصصين أكاديميين في القرن العشرين (ق 20) وهما علم الاقتصاد والأنثروبولوجيا (...) ويرى (ناش) أن الأنثروبولوجيا الاقتصادية تعنى بتحليل الحياة الاقتصادية باعتبارها نسقا فرعيا للمجتمع (...) ويعتبر (دالتون)الأنثروبولوجيا الاقتصادية مجالا ذا اهتمام خاص داخل الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية(...) كما صاغ (جراس)هذا المفهوم من خلال مقال له بعنوان "الأنثروبولوجيا و الاقتصاد" .حيث يعبر مفهوم الأنثروبولوجيا الاقتصادية عن**

[1] المرجع نفسهُ،ص 17.

عملية الجمع بين الدراسات الأنثروبولوجية والاقتصادية التي اهتمت بطرق كسب العيش عند الشعوب البدائية "[1]

إذن هذه المفاهيم ترمي إلى أن الأنثروبولوجيا الاقتصادية دراسة للحياة الاقتصادية داخل مجتمع معين، أي أنها دراسة الجانب الاقتصادي في المجتمع، وهذا ما يُظهر لنا ارتباطها الوثيق بالأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية.

لقد ميز كل من (كريس هان-Chris Hann) و (كيث هاري-Keit Hari) في كتابهما الموسوم بـ"الأنثروبولوجيا الاقتصادية التاريخ والإثنوغرافيا والنقد" ثلاث مراحل في تطور الأنثروبولوجيا الاقتصادية:

أ- المرحلة الأولى:

"إمتدت من سبعينيات القرن التاسع عشر إلى أربعينيات القرن العشرين حيث انصب اهتمام معظم علماء الأنثروبولوجيا على ما إذا كان سلوك" المتوحشين " الاقتصادي يستند إلى أفكار الكفاءة والعقلانية ذاتها التي يفترض أنها تحفز السلوك الاقتصادي في الغرب، وكرسوا جهودهم في البداية لوضع عروض موجودة عن التاريخ العالمي الذي كان في نظرهم عملية تطورية."[2]

ب- المرحلة الثانية:

"فيما بعد،وفي السنوات التي تلت الحرب العالمية الأولى، أصبحت ممارسة العمل الميداني مهمة أكثر من أي وقت مضى، وسعى الإثنوغرافيون إلى الربط بين فرضيات عالم الاقتصاد السائد

---

[1] **سليمان دحماني، نشأة الأنثروبولوجيا الاقتصادية وجدل الشكلانيين والجوهرانيين ، مجلة مجتمع تربية عمل،المجلد:7. العدد:1، الجزائر، (2022)، ص 53-54.**

[2] **جورج بالانديه، الأنثروبولوجيا السياسية-المؤسسة الجامعية للدراسات،ترجمة:" علي المصري، بيروت، لبنان، ط2007،2، ص17**

(الكلاسيكي الجديد) بنتائجهم الخاصة عن المجتمعات البدائية، لكنهم أخفقوا أساسا لأنهم لم يفهمو المقدمات الابستيمولوجية لعلماء الاقتصاد.

وفي الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين كانت الحرب الباردة في أوجها والاقتصاد العالمي مزدهرا، والحكومات في كل مكان تعهدت توسيع الخدمات العامة مع المحافظة على ضوابط صارمة بخصوص الأسواق المالية، وفي تلك الظروف كان علماء الأنثروبولوجيا الاقتصادية يتجادلون فيما بينهم في شأن النظريات والمنهجيات اللازمة لدراسة ميدانهم الخاص(...) واعتقد الشكلانيون أن المفاهيم السائدة في علم الاقتصاد وأدواته كافية للقيام بهذه المهمة في زعم الجوهرانيون أن المقاربات المؤسساتية أكثر ملائمة".[1]

ج- المرحلة الثالثة:

تبدأ المرحلة الثالثة من تاريخنا من الحدّ الفاصل في السبعينيات الممتد على مدى ثلاثة عقود من العولمة الليبيرالية الجديدة (...) وكانت هذه الفترة قد شهدت أنثروبولوجيين يوسعون دراساتهم لتتناول التنظيم الاقتصادي الإنساني برمته من منظورات متنوعة، وكان هؤلاء عموما قد فضلوا إلى حد الآن أن يلتزموا تقليد الرصد والمشاهدة[2]

يتبين لنا مما سبق أن الأنثروبولوجيا الاقتصادية مرت بتحولات جذرية في الموضوعات المطروحة وكذلك الأطر النظرية التي ناقشها علماء الأنثروبولوجيا.

3- الأنثروبولوجيا السياسية:

تُعد فرع من فروع الأنثروبولوجيا ترتبط وتجمع علم الإنسان بالعلوم السياسية، "**فهي أداة اكتشاف ودراسة شتى المؤسسات و الممارسات التي تحقق حكم الناس فضلا عن أنها أداة**

[2] **المرجع نفسهُ ص17**

[1] **المصدر السابق ص17.**

اكتشاف لنظم التفكير والرموز التي تستند إليها"[1] مما يعني أنها وسيلة دراسة المؤسسات والمؤسسات المؤثرة على حياة الجماعات البشرية مركزة على تحليل الأنظمة الثقافية ،الفكرية والرمزية المشكلة لأساس المؤسسات التي من خلالها يتم تحقيق الحكم وبصيغة أخرى**"هي تلك الوسيلة التي تلعب دوراكتشاف و دراسة مختلف المؤسسات والوظائف والممارسات التي تتمركز حول تسيير شؤون أفراد المجتمع وحكمهم ليصبحوا في رتبة المحكومين".**[2]

تركّز الأنثروبوولجيا السياسية على تحليل البُنى المؤسساتية، والممارسات التي تنظّم علاقة الأفراد بالسلطة وتُحوّلهم إلى "محكومين"، مما يبرزكيفية تشكيل الهياكل الاجتماعيةلأساليب الحُكم، والتوزيع غير المتكافئ للقوة،كما أنَّها تهتم وتركز على" **أنظمة الحكم و المؤسسات التي تقوم عليها السلطة السياسية و تستمد منها شرعيتها وبالتالي هي تعمل على دراسة بنياتها وآلياتها(...) أو تشدد على الإنسان بوصفه كائنا سياسيا منظما لجميع شؤون الحياة و منها شؤون السياسة"**[3]،أي أنّ الأنثروبولوجيا السياسية تهتم بكيفية اكتساب هذه السلطة لشرعيتها وكيفية تنظيمها لشؤون المجتمع، ولا تقتصر على تحليل البنى السياسية الرسمية فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى فهم الإنسان ككائن سياسي، ينخرط في تنظيم مختلف جوانب الحياة،مما يُبرز لنا أن السياسة ليست مجرد مؤسسات رسمية، بل هي جزء عضوي من الممارسات الثقافية والعلاقات الاجتماعية، مما يعكس الترابط بين الثقافة، والمجتمع، والسلطة.

يعود علم الإنسان السياسي في جذوره إلى القرن التاسع عشر،حين حاول باحثين (كلويس مورغان-Chloe Morgan) و (هانري ماين-Henry Maine) تتبع تطور المجتمع البشري من الطور البدائي أو الوحشي إلى أشكال أكثر تطورا وتعقيدا، ولكن هذه المحاولات المبكرة كانت

[2] **عيوشة بوزيد، الأنثروبولوجيا السياسية بحث في دلالة المفهوم، مجلة أنثروبولوجية الأديان، المجلد: 18،العدد:1، 2022، ص 109.**

[3] **المرجع نفسه، ص905**

[1] **نادية موات، محاضرات التحليل الأنثروبولوجي للأدب،جامعة 8ماي 1945 قالمة، قسم اللغة والأدب العربي سنة 2 ماستر دراسات أدبية 2025، ص 48**

تتسم بطابع العنصرية و المركزية العرقية، ومع ذلك فقد أرست هذه الدراسات قواعد علم الإنسان السياسي من خلال إجراء دراسات حديثة متأثرة بروح العلم الحديث،على وجه الخصوص الداروينية*[1]، وفي خطوة ستكون مؤثرة في مستقبل الدراسات الأنثروبولوجية،فقد قاموا بالتركيز على روابط القرابة كمفتاح لفهم النظام السياسي في المجتمع البشري، وأكدوا على دور النسب كموضوع للدراسة، أي أنه رغم المحاولات الأولية المتميزة بالعنصرية وضعت هذه الدراسات أسس علم الإنسان السياسي متأثرة بالحداثية و مؤكدين على دور النسب في هذه الأخيرة.

4- الأنثروبولوجيا الاجتماعية:

تعرف الأنثروبولوجيا الاجتماعية على أنها "**دراسة مجموع البناء الاجتماعيلأي جماعة أو مجتمع بما يحويه هذا البناء من علاقات وجماعات وتنظيمات** "[2]أي أنها تُعنى بدراسة البنى الاجتماعية المتمثلة في علاقات القرابة، علاقات السلطة وعلاقات التبادل أو التعاون وحتى علاقات الصراع، ومختلف الجماعات "الأسرة، الأصدقاء، النقابات والأحزاب، الطوائف والقبائل..."وكذلك ما تحويه من تنظيمات سياسية، دينية، اقتصادية" التي تشكل هوية المجتمع وتهتم بفهم قواعدها وإدراك سلوكيات أفرادها مما يسهل تفسيرها من مختلف الزوايا. ويمكننا القول بأنه يتواجد بعض المقومات الرئيسية التي تشكل مرتكز لبنة المجتمع وهي "**الركائز الإيكولوجيا* والديموجرافيا* والثقافية التي تقوم عليها الأنساق والنظم الاجتماعية وتتسق معها** "[3]ومن المتعارف عليه أن بنية المجتمع تضم"**الأنساق الاقتصادية والقرابية والسياسية والدينية التي تضم بدورها نظما اجتماعية متمايزة**[4]"

*الداروينية:(**Darwinism**): مذهب(دارون) يقوم علىآراء مفادها أن المخلوقات تطورت بفعل الاختبار الطبيعي...

[1] محمد الجوهري وآخرون، الأنثروبولوجيا الاجتماعية–قضايا الموضوع والمنهج– دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (دط)،2004، ص14.

[2] محمد عبده محجوب، دراسات سوسيوأنثروبولوجية، مرجع سابق، ص36

[3] المرجع نفسه، ص36

ومهمة الأنثروبولوجيا الاجتماعية تكمن في دراسة العلاقة بين هذه النظم في كل المجتمعات القديمة والحالية، كما تُعنى"**بدراسة الإنسان من حيث أبعاده الاجتماعية كأداة اجتماعية فاعلة ومتفاعلة مع المجتمع بكل محطاته وتمظراتها المادية والمعنوية**"[1]إذا فهي تدرس الإنسان بكونه كائن اجتماعي يعيش ويتعايش في محيط اجتماعي معين بغية تحديد البناء الاجتماعي لذلك المحيط ومدى تأثيره في طرق العيش لذلك الإنسان.و"**الأنثروبولوجيا كفرع من فروع علم الاجتماع،قبل أن تتأسس الأنثروبولوجيا الاجتماعية كحقل علمي ومعرفي مستقل بذاته، تدرسُ مختلف الأنساق الاجتماعية والنظم الاجتماعية للمجتمعات"المتخلفة"أو"البدائية"، بما في ذلك نظم القرابة، والزواج...إلخ.**"[2]مما يبرزُالتطور التاريخي للأنثروبولوجيا لارتباطها في إرهاصاتها الأولى بعلم الاجتماع، قبل أن يصبح تخصصاً مستقلاً بذاته.فقد ركزت الدراسات الأنثروبولوجية الأولىمن ناحية الأنثروبولوجيا الاجتماعية، على تحليل بنى المجتمعات التي كانت توصَفُ آنذاك بـ"المتخلفة" أو "البدائية"، في محاولة لفهم أنماط تنظيمها الاجتماعي.

وقد أولت هذه الدراسات اهتمامها بتحليل نظم القرابة والزواج، كونها من أبرز الركائز التي تقوم عليها العلاقات الاجتماعية، ويعكس هذا التوجه المنظور التطوري السائد في القرن التاسع عشر، حيث تم النظر إلى هذه المجتمعات على أنها المراحل "البدائية" لتطور الإنساني.

إذاً فالأنثروبولوجيا الاجتماعية قد تطوَّرتْ كحقل علمي يُرَكِّزُ على دراسةِ البنى والنُّظم الاجتماعيةِ في مختلف المجتمعاتالإنسانيةبمختلف أشكالها، خاصة المجتمعات التقليدية، وقد تجاوزتفي الوقت الحالي النظرة التطورية المبسَّطة، التي وصفت بعض المجتمعات بـ"البدائية"، لتعتمد على منهجالأكثر شمولية، الذي يقومُ على فهم العديد من الثقافات في سياقاتها الذاتية، و التركيز على

[4] **كريمة شعبان، الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية،مطبوعة بيداغوجية، جامعة الجزائر، (د، ط)،2019، ص50.**

[2] **عياد أبلال ،أنثروبولوجيا الأدب – دراسةأنثروبولوجية للسرد العربي، روافد للنشر و التوزيع، ط1، القاهرة، مصر،2011،ص42**

تحليلاًأهم النظم الاجتماعية وعلى وجه الخصوص، نظم القرابة والزواج، باعتبارها أساس فهم التفاعلات الاجتماعية.

5- الأنثروبولوجيا الثقافية:

تعرف بأنها علم يُعنى بدراسة الإنسان" **من حيث هو عضو في مجتمع له ثقافة معينة، وعلى هذا الأساس يمارس سلوكا يتوافق مع سلوك الأفراد والمجتمع المحيط به يتحلى بقيمه وعاداته ودينه ونظامه ويتحدث بلغة قومه** [1]"لذلك فالأنثروبولوجيا الثقافية علم يوكز على دراسة ثقافة الإنسان وطرق معيشته وسلوكاته المرتبطة بثقافته وهي لاتقتصر على زمن معين بل تدرس المجتمعات السابقة والحالية، إذن فهي" **تهدف لفهم الظاهرة الثقافية وتجديد عناصرها كما تهدف غلى دراسة عمليات التفسير الثقافي و التمازج الثقافي وتحديد الخصائص المتشابهة بين الثقافات وتفسر بالتالي المراحل التطورية لثقافة معينة في مجتمع معين**"[2]مما يعني أنها تبحث عن العناصر المشتركة بين الثقافات وفهم ما هو مشترك وما هو خاص بثقافة معينة مع دراسة التحولات التي تطرأ علىالثقافة بمرور الزمن فتحاول فهم كيفية حدوث هذه التغيرات وتأثيرها على الإنسان والثقافة عند (تايلور) هي" **ذلك الكل المتكامل من الفن والأخلاق والتقاليد والعقائد والعلم والأعراف وكل القدرات الأخرى التي يكتسبها الفرد باعتباره عضوا داخل المجتمع**"[3]ومنه فالأنثروبولوجيا الثقافية تهتم بدراسة وتحليل ذلك الكل المتكامل المكتسب من طرف الإنسان في مجتمعه ومراقبة مراحل تطوره، وكذا تصنيفاته في الماضي والحاضر كون الثقافة وسيلة اتصال المجتمعات والشعوب في كل الأزمان ما بين لنا أن دراسة الثقافة الإنسانية المتباينة من مكان لآخر ومن عصر لآخر تساهم في فهم تاريخ هذه

---

[1] **المرجع نفسهُ، ص64**

***الإيكولوجيا: العلم الذي يدرسُ العلاقة بين الإنسان ككائن بيولوجي، والبيئة الطبيعية.**

***الديموجرافيا: وهو علم السكان، أي أنه دراسة وصفية تحليلية و إحصائية للسكان من حيث العدد والتركيب و التطور.**

[2] **كريمة شعبان، الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، مرجع سابق، ص 65.**

[3] **عبد العزيز مُحَمَّد خواجة ، محاضرات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، جامعة الجزائر03،كلية علوم الإعلام و الاتصال، قسم علوم الإعلام ، د،ط، 2014-2015، ص 46.**

الثقافات الإنسانية وأصولها، وبالتالي فهم طرق حياة الشعوب والإنسان في مختلف المجتمعات وعلى مرّ العصور .

وللأنثروبولوجيا الثقافية فروع أهمها:" الإثنولوجيا والإثنوجرافيا"

أ- الإثنولوجيا:

تعتبر من أهم فروع الأنثروبولوجيا الثقافية وهي علم يدرس الشعوب ويقارن بينها وهذا يعني أنها"**علم الثقافات المقارن**"[1]حيث أنها تدرس ثقافة الشعوب وسلوكياتهم وكل ما يخص الإنسان في إثنيته وتقرن بين ثقافة كل إثنية وأخرى ، فالإثنولوجيون"**يستهدفون تسجيل الأشكال و الأنماط السلوكية في أي مكان سواء كان مجتمعا بدائيا أو متحضرا بغية الوصول للخصائص الثقافية للمجتمعات البشرية** "[2]وهي تركز على دراسة سلوك الإنسان في كل مجتمع في كل عصر وتسلط الضوء على الإنسان ككائن ثقافي يؤثر ويتأثر في إثنيته فتهتم بدراسة فعالياته في ذلك المجتمع وما ينجر عنها ومن ثم المقارنة بينها وبين الشعوب الأخرى لفعاليتها وسلوكياتها الخاصة و"**غالبا مايعطيالأثتروبولوجيين جانبا من اهتماماته لدراسة الجماعات البدائية أو الأقل تقدما لإلقاء الضوء على هذه الجماعات وثقافاتها المتمايزة**"[3]مما يساعد في إدراك كيفية تشكل المجتمعات القديمة والقدرة على فهم ومواجهة الصعوبات التي تعيشها المجتمعات المغاصرة من خلال الدراسات المقارنة بين مختلف الثقافات والتدقيق في تاريخ الجماعات القديمة، وفي مجمل القول أن الأنثروبولوجيا"**علم الإنسان ككائن ثقافي وهي الدراسة المقارنة للثقافات أو الشعوب، تمثل السلالة وحدة الدراسة الأساسية فيها، وقد عرف(كوربر) ميدان الدراسة الإثنولوجيا بأنه يشمل كلا من(الثقافة والتاريخ**

---

[1] **مصطفى صادق أزهري ، الأنثروبولوجيا الطبيعية و الثقافية (علم الإنسان الطبيعي و الثقافي)، مطبوعة، جامعة الملك سعود، كلية السياحة و الآثار، ص02**

[2] **فاروق مصطفى إسماعيل، الأنثروبولوجيا الثقافية،الهيئةالمصرية العامة للكتاب فرع الإسكندرية، مصر، (دط)،198، ص34.**

[3] **المرجع نفسهُ،ص35**

والجغرافيا)[1]".وهي علم يختص بدراسة ثقافة الشعوب أو الدراسة المقارنة لثقافة الشعوب. ومن هنا يمكننا أن نقول باختصار أن"**الإثنولوجيا علم مقارن**". [2]

ب–الإثنوجرافيا:

ظهر هذا المصطلح"**عام (1807) ويعنى بـ(وصف الشعوب) وهذا هو المعنى العام للكلمة حتى في أيامنا هذه**"[3]حيث تعتبر الإثنوجرافيا دراسة وصفية لثقافات الشعوب، ويمكننا القول أنها "**الإثنولوجيا الوصفية أي ملاحظة وتسجيل المادة الثقافية من الميدان وهي تعني أيضا وصف أوجه النشاط الثقافي كما تبدو من خلال دراسة الوثائق التاريخية(...) فالإثنوجرافيا تعنى بالمواضيع المادية التي تصور التقدم التكنولوجي العام الذي يظهر ديناميكية العقل الإنساني في محاولة السيطرة على الطبيعة**"[4]مما يعني أنها تعتمد على المشاهدة ودقة الملاحظة مع عملية التدوين لهذه الملاحظات وكذا وصف الفعاليات الثقافية للإنسان من عادات وتقاليد وموروثات ...من خلال دراسة تاريخ الشعوب والمجتمعات دراسة وصفية دقيقة و البحث في الجانب المادي أي في المخلفات المادية التي تصف التقدم الحضاري للإنسان في أزمنة متباينة وتكشف عن المستويات الفكرية والمعرفية للإنسان في تلك الأزمنة، إذا فـ" **الإثنوجرافيا علم وصف حضارة شعب معين برسم صورة دقيقة لطرائق معيشته ونظمه وعلائقه الاجتماعية**"[5]فينتج عن هذا الوصف تصوردقيق وواضح ومفصل عن مجتمع أو شعب معين محيط بكل جوانبه الثقافية ومحلل لخصائصه الثقافية. "**ومما هو ملاحظ أن هذا**

---

[1] **سعاد علي حسن شعبان، الأنثروبولوجيا الثقافية لإفريقيا معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، مصر، (دط)، 2004، ص17**

[2] **فيليب لابورت، تولواجان،بيارفارنييه،إثنولوجيا أنثروبولوجيا، ترجمة: مصباح الصمد،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص28**

[3] **سعاد علي حسن شعبان،الانثروبولوجيا الثقافية لإفريقيا،مرجع سابق،ص19.**

[4] **المرجع السابق،ص 19**

[5] **شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص 314.**

الفرع من الأنثروبولوجيا نشأ في ثنايا كتابات الرحالة القدامى الذين كانوا يدونون كل ما يقع عليه نظرهم عن الجماعات المختلفة في الحضارة "[1]

فالرحالة كانوا يعتمدون المشاهدة كعنصر أساسي في رحلاتهم مما جعلهم يؤسسون لمصطلح الإثنوجرافيا بفضل عنصر المشاهدة والتدوين أيضاالذي يعتمد كل الاعتماد على الوصف، فالطابع الغالب على الرحلات بكل أنواعها هو طابع الوصف.

- **الفرق بين الإثنوغرافيا و الإثنولوجيا:**

الإثنولوجيا	الإثنوجرافيا
دراسة مقارنة معمقة لمجتمعات تقليدية	دراسة وصفية لثقافة شعب معين
تميل للدراسة النظرية المقارنة بين الحضارات	عمل ميداني مكثف ومفصل تقوم على الوصف والتدوين
تستخدم الوثا ئق المقدمة من الإثنولوجيا للمقارنة	دراسة الثقافات البدائية وبقايا سماتها في المجتمعات الآنية
تبحث في التفسير الثقافي عبر الزمن	تركز على ثقافة مجتمع واحد بشكل معمق ومفصل

[1] **سعاد علي حسن شعبان، الأنثروبولوجيا الثقافية لإفريقيا، مرجع سابق، ص 20.**

من خلال جدول الفروق السابق نستنتج أن هناك علاقة بين هذين العلمين، فالإثنوجرافيا علم مكمل للإثنولوجيا إذ أنه الأساس الذي تُبنى عليه الإثنولوجيا كونه يتميز بالوصف الدقيق في الوثائق الإثنوجرافية، ومنه فهما يكملان بعضهما البعض في فهم الثقافات البشرية حيث تقدم الإثنوجرافيا وصفا تفصيليا والإثنولوجيا دراسة لهذا الوصف المقدم دراسة دقيقة ومفصلة.

ثالثاً: أهداف الأنثروبولوجيا:

تتميز الأنثروبولوجيا بالشمولية مما جعل أهدافها متنوعة ومتميزة حيث تسعى إلى التفسير وفهم الإنسان من زوايا مختلفة، وأهدافها حسب (رالف لنتون-Ralph Linton) هي:

- ✓ **وصف المظاهر البشرية الاجتماعية، والثقافية، والجسدية، بشكل دقيق من خلال معايشة ذلك المجتمع، وتسجيل كل سلوكياته اليومية.**
- ✓ **تصنيف الأنماط المعيشية ومظاهرها، إلى أشكال واقعية، تسمح بتسيير حياة الأفراد وتحديد تطور هذه الأصناف حضارياً، ونسبيا.**
- ✓ **تتبع أنماط التغيير الإنساني وأسبابه، ونواتجه بربط الواقع الحاضر بالتراث السابق، والمقارنة بينها وبين المجتمعات الأخرى أيضاً.**
- ✓ **التنبؤ بحركة المجتمع المستقبلية في عمقها، وشموليتها طبقاً للدراسة المنجزة، بالرغم من سيطرة التنظيمات العرقية في هذا العالم، واستمراريتها، ومحاولة المعاصرين تجاوزها.[1]**

إذا من خلال الأهداف السابقة نستنتج أن الأنثروبولوجيا تهدف مجملاً، إلى فهم مظاهر الإنسان في جميع أبعاده من خلال وصفها وصفا دقيقا ودراسة تطوره عبر العصور، فتسهم في التنبؤ بمستقبل الشعوب وتقديم حلول للتحديات المعاصرة في كل المجتمعات.

رابعاً: علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب:

[1] **عبد العزيز مُحَّد خواجة ، محاضرات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية،مرجع سابق،ص10**

1.مفهوم الأدب:

تعددت مفاهيم الأدب فمنها:" **الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس، سمي أدبا لأنه يؤدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح**"[1]إذا فهو يدل على الخلق الحسن والنبيل،ويبرزُ هذا التعريف البُعد الأخلاقي والتربوي للأدب، حيث يُعَد وسيلةلتقويم السلوك وتوجيه المجتمع للطريق القويم. فكلمة –أدب– في اللغةتعني التهذيب والتعليم، مما يجعل أداة فعالة في صياغة الوعي الفردي و الجمعي. وهذا المفهوم يتوافق مع الرؤية الكلاسيكية للأدب المرتبط بالحكمة والموعظة، حيث يكون الأديب بمثابة مرشد أخلاقي يُسهم في تشكل الوعي الإنساني عبر نصوصه الإبداعية،وقد عرف أيضا على أنه"**ما يتأدب به الأديب من الناس ويمنعهم من قبيح الأعمال و الأقوال ، وهو لفظة انطوت على سمو خلقي ورفعة في التعليم و التهذيب و التثقيف**"[2].

فتعريف الأدب متعدد الأوجه يرتبط في مفهومه بالسلوك الحسن، وكذلك الإبداع الفني في سياق آخر يكون بمعنى التراث الثقافي حيث أنه" **ملكة أو براعة راسخة في النفس كما أنه تسجيل لتراث الأمة من علومها ومعارفها**"[3] أي الأعمال الأدبية التي تعبر عن ثقافة شعب معين، ويقول (مُحَمَّد سعيد)حول هذا التعريف" **هو ذلك الكلام الفني الجمالي رفيع المستوى من شعر أو نثر صادر عن أديب ، كاتب أو شاعر وخاضع لمنطق لغوي فني معين**" [4] أي أن الأدب كلام متقن وراقي يتميز بالجمال الفني وهو ناتج عن إبداع إنساني يخضع لقواعد اللغة و أساليبها ليحقق شمالية التعبير ووضوح المعنى، وبهذا فالأدب فن يعكس مهارة الأديب وإبداعه، ويبرز قدرته على التأثير في المتلقي.

---

[1] **ابن منظور، لسان العرب، مادة تأدب، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، مصر، ج.م.ع، ص (43).**

[2] **هدى التميمي، الأدب العربي عبر العصور، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص10.**

[3] **المرجع نفسه، ص 10.**

[4] **بوزيد رحمون،مفهوم الأدب الشعبي اتجاهاته الفنية، في اللسانيات وتحليل الخطاب، المجلد05، العدد02، الجزائر،جوان، 2021ص308**

2. علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب:

يُعد الأدب عملا إبداعيا فنيا للإنسان يترجم فيه الأديب كل ما يدور في عقله من أفكار وما يختلج نفسه من أحاسيس، في قالب فني أدبي مميز، فيقدم"**الكثير من الدلالات والإيحاءات التي تحقق للمتلقي المتعة الفنية والثقافية، ومادام الفن أو الإبداع يحمل هذا المضمون الثقافي فإنه يجعل الفن موضوعا للأنثروبولوجيا الثقافية الاجتماعية، ويعرف هذا التخصص بأنثروبولوجيا الفن. وإذا اقتصر البحث في مجال اللغة والرمز والنظم التي تتضمن الدلالات يعرف بأنثروبولوجياالأدب**"[1].وعليه فالعمل الإبداعي لا يقتصر على تقديم مضامين جمالية فقط، بل ينطوي على دلالات ورموز ثقافية واجتماعيةعميقة تثري وعي المتلقي وتُحقق له الإدراك الفكري والمتعة الجمالية،ومن هذا المنظور يصبح الأدب، بوصفه شكلاً من أشكال التعبير الثقافي والاجتماعي، موضوعا هاماً للدّراسة الأنثروبولوجية، خاصةً في حقل أنثروبولوجيا الفن الذي يبحث في الأبعاد الاجتماعية والثقافية للإبداع الأدبي الفني.

أما عند تركيز الدراسة على كل من الجوانب اللغوية والرمزية، وكذاالنظم الدلالية في النصوص الأدبية، فإنها تدخل في إطار أنثروبولوجيا الأدب، بوصفه حقل معرفي يتقاطع مع مختلف الدراسات الإنسانية، والاجتماعية، والثقافية، في تحليل الخطاب الأدبي.

إذن ومماسبق ذكره فالأدب وسيلة تساعد الأنثروبولوجي في دراسة الإنسان وفهم لغته وسلوكاته وثقافته في مجتمعه من؛ خلال فك رموزه والبحث في معاني دلالاته التي يوظفها في نصه الأدبي،وكون"**الأدب من أهم الوسائل التعبيرية التي لجأت إليها الشعوب تعبيرا عن واقعها**"[2]، فقد تحول إلى وثيقة أنثروبولوجية تساعد في دراسة الإنتاجات البشرية الفكرية، والغوص في فكر الإنسان

---

[1] **باية غيبوب ، الشخصية الأنثروبولوجية العجائبية في رواية مائة عام من العزلة، مرجع سابق ص 62.**

[2] **لبنى بوخناف، التحليل الأنثروبولوجي للخطاب السردي، رواية الأسود يليق بك لأحلام مستغانمي أنموذجا، مجلة اللغة الوظيفية، جامعة 8ماي 1945، قالمة، مجلد 5، عدد 2، ص 344.**

الذي يترجم حياته واحتياجاته ومعتقداته، وقيمه، وكذا تقاليده فينتج للإنسان معرفة ذاته ومن حوله، ومعرفة كل الشعوب التي لها أدبها الخاص المميز.

ويرى (إدوارد سعيد) أن ما يهم الأنثروبولوجيا"**أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة وهو الاتجاه الذي يضم بشكل عام الدارسين المتأثرين بالنظرية الأدبية ، أو على نحو أكثر دقة واضعي النظريات الحديثة في مجالات الكتابة و الخطاب و أنماط السلطة من أمثال (فوكو) و(رولانبارت) و (جاك دريدا)... أقوال لم أجد سوى قلة من هؤلاء الباحثين لايخفون رغبتهم في أن تكون الأنثروبولوجيا و النصوص الأنثروبولوجية أكثر توجها ناحية الأدب و النظرية الأدبية من حيث الأسلوب والرؤية وفي أن ينفق الأنثروبولوجيون وقتا أطول في التفكير في أمر النصية... "**[1] فـ(إدوارد سعيد)يؤكد علىوجود رغبة عند دارسي ما بعد الحداثة في اهتمام الأنثروبولوجيين بالإنتاجات الأدبية ودراستها من ناحية الأسلوب والرؤية، وأن يُولوا اهتماما لهذه النظريات ودراستها بشكل دقيق وعميق، أي دراسة مضامينها الفكرية والإبداعية،وبذلكدراسةالفكر الإنساني في فترة مابعد الحداثة، لأنَّ الأدب في هذه الفترة كان أدبا متمردا على القواعد التقليدية رافضا لأشكال الكلاسيكية، كما عكس تحولات ثقافية وفكرية، وقدّم أفكارا ورؤية جديدة للعالم، وهذا التغيير الفكري المترجم في قالب أدبي يحفز على بداية الدراسات الأنثروبولوجية للنصوص الأدبية.

وبالنظر للرواية كنص أدبي غالبا مانجدها تعكس حياة الإنسان في مجتمعه وتترجم سلوكات أفراده ومعتقداتهم، والنظم السائدة في ذلك المجتمع، من خلال توظيف الشخصيات والحبكة والبيئة فتقدم رؤية شاملة عن الأديب ومحيطه، وتعطي صورة شاملة أيضا لحياة مجتمعه وإثنيته، مما يجعلها وثيقة أنثروبولوجيةتعكس صورة الأديب ومجتمعه و"**النص الادبي عموما و الروائي بصفة خاصة ذو طبيعة أنثروبولوجية وفعل القراءة نفسه سيكون بمثابة فعل أنثروبولوجي** "[2]أي أن القراءة تصبح عملية استكشاف لبيئة الإنسان وفكره،وسلوكه، وثقافته، وتفتح مجالا للمتلقي ليغوص في أنثروبولوجيا

[1] **باية غيبوب، الشخصية الأنثروبولوجية العجائبية، مرجع سابق، ص 63.**

[2] **لبنى بوخناف، التحليل الأنثروبولوجي للخطاب السردي، مرجع سابق، ص 345.**

الأدب دون أدنى إدراك له، وهذه هي العلاقة العميقة بين الأدب والأنثروبولوجيا،وبذلك فـ"**الفعل الأدبي يحمل علامة هذه البيئة الإنسانية وثقافتها،فمجموع الأعمال المنجزة في هذه المساحة الثقافية أو في الأدب ككل يمكن أن يشكل ميداناً للبحث الأنثروبولوجي**"[1].

ومنه فهناك علاقة جوهرية بين الأدب والأنثروبولوجيا، حيث أنّ العمل الأدبي يعكس سمات البيئة الثقافية والاجتماعية، وتعتبر هذه الأعمال الأدبية بمثابة وثيقة لفهم الأنماط البشرية، والعلاقات الاجتماعية، ويخرج بذلك الأدب من كونه مجرد إبداع جمالي، إلىكونه مصدراأنثروبولوجيا، يكشف عن البنى الاجتماعية والثّقافات الشعبية،إذاً فالأدب مفتاح لتجسيد هذه الخصوصية ورقيا من خلال الأعمال الفنية المتنوعة، ولأهميته ظهر فرع مستقل هو "أنثروبولوجيا الأدب".

[1] **عياد أبلال،أنثروبولوجيا الأدب – دراسةأنثروبولوجية للسرد العربي،مرجع سابق ص104**

الفصل الأول: تجليات الأنثروبولوجيا الاجتماعية في رواية مملكة الزيوان

أولا: نظام العلاقات الاجتماعية

1. نظام الزّواج

2. نظام القرابة

3. الصداقات و الجيرة

ثانيا: بنية المكان

1. البيت

2. نظام الفقارات

3. نظام التعليم

يشير علماء الأنثروبولوجياأنّ الإنسان يمكنه فهم نفسه عن طريق الانفتاح على الآخر ومحاولة فهمه، فمعرفته تُؤدّي إلى معرفة الذّات وتُحقّق التفاهم بين هذين الأخيرين. وبما أنّ الأنثروبولوجيا الاجتماعية أحد فروع علم الإنسان، فهيّ تجعلنا نرىأنفُسنا داخل المجتمع من خلال دراستها لعلاقة الإنسان بأفراد مجتمعه.

قدّم لنا "الصدّيق حاج احمد" في روايته، التي تُعتبر بمثابة وثيقة أنثروبولوجية تحليلًا مُعمقًا للمُجتمع التَوّاتي، وغاص في أعماقه ليبرز لنا بنية العلاقات الاجتماعية الزّيوانية.

أولا:نظام العلاقات الاجتماعية:

يميل الإنسان إلى الإختلاط بالغير والعيش في جماعات، كونه اجتماعي بالفطرة، كما يسعى إلى تكوين شبكة من التفاعُلات، والرّوابط الّتي تُسهم في بناء علاقات اجتماعية مُنظّمة، مبنية على التّأثير والتّأثر بدافع إشباع الحاجيات الأساسيّة، كالغريزة الجنسيّة،وتكوين أسرة،مما يعني التّكاثر وسيرورة العلاقات،وتوفير الحماية، والحب المتبادل ...الخ، وتختلف هذه العلاقات من إثنية إلى أخرى،وهذه الفطرة لم تأتِ عبثًا بل هي حكمة الخالق في خلقه، **لقوله تعالى : { يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقبائللتعارفوآ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }**[1]،تكون هذه العلاقات في أشكال مُتنّوعة من بينها:الارتباط مثلا،لخطوبة،الزّواج،علاقات القرابة الأسرية،وعلاقات اجتماعية تقوم على ممارسة أنشطة مختلفة كالصداقات والجيرة...الخ، وهذه الأخيرة تُبنى على مجموعة من القواعد والقيم كالاحترام والثّقة وتبادُل المصالح المشتركة.

1.نظام الزّواج:

أَوْلَى الأنثروبولوجيون اهتماما كبيرا للزّواج، كونُه الخطوة الأولى لتأسيس العلاقات الاجتماعية، حيث تعدّدت تعريفاته منها:هو" **الرّابطة الشّرعية الّتي تقوم بين الرّجل والمرأة،وينظّمها القانون**

[1] **القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية13، رقم49، رواية حفص، دار الفرقان، دمشق، الطبعة الأولى،1425هـ، ص260**

والدّين والعرف...، تنشأ عن هذه الرّابطة أسرة تَترتّب فيها حقوق وواجبات تتعلّق بالزّوجين والأولاد،والغاية من الزّواج استمرار الحياة في الاختلاف وينشأ بالخطبة والمهر والعقد "[1]ممّا يعني أنّه علاقة الرّجل بالمرأة في إطار قانوني وشرعي، وبالتّالي فهي أساس تشكّل العائلة،كما تهدف لاستمرارية الحياة والاستقرار رغم الاختلافات، ولها قواعد وشروط تختلف باختلاف المجتمعات، فلكل مُجتمع أسسه وقوانينه المرتبطة، بعاداته وتقاليده، وأفكاره، ودينه، وعرفه،و"**غالباً ما تستخدم كلمة زواج للدلالة على مؤسسة اجتماعية. ويمكن أنّ يُعرّف بهذا المعنى، على أنّه علاقة واحد أو عدد من الرجال مع واحد أو عدد من النساء تعترف بها التقاليد أو الشرائع وتفترض عددا من الحقوق والواجبات لأطراف العلاقة من جهة وللأبناء الذين تنجبهم من جهة أخرى. تختلف تلك الحقوق باختلاف الشعوب**"[2].

كما يُعرف الزّواج من الناحية الأنثروبولوجية بأنّه: "**ظاهرة اجتماعية مُعقّدة، ويرجع ذلك إلى اختلاف صوره وعناصره ونُظمه بدرجة واضحة تصل إلى درجة التّناقض**"[3]،فحسب رأي الانثروبولوجيين هو ليس مُجرد علاقة بين شخصين، بل يتجاوز الأمر كونُه يجمع بين عائلتين في مجتمع واحد، أو حتّى مُجتمعين ويكمُن تعقيده في اختلاف مظاهره، وطقوسه، وشروطه، باختلاف الثّقافات والديانات،ففي المجتمعات الإسلامية الزّواج نصف الدّين ،كما أنّه رابط مُقدّس ذلك **لقوله تعالى : { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً }**[4]، فالزّواج من آيات الله ونعمه على المسلمين، وقد جعل فيه مودّة ورحمة للعباد، ووضع سبحانه وتعالى في كتابه

---

[1] **حورية بودليو ، تأخر الزواج لخريجات الجامعة–دراسة انثروبولوجية– مجلة الباحث العلمي، المجلد16، العدد 01، الجزائر 2016، ص280.**

[2] **ادوارد ويسترماك ،موسوعة تاريخ الزواج–دراسة أنثروبولوجية–، ترجمة:مصباح الصمد وآخرون: المؤسسة الجامعية للدراسات النشر والتوزيع، بيروت،لبنان،ط1، 2001م،ص30.**

[3] **الخنساء تومي و احمد سويسي ، الزواج وتغيير منظومته المجتمعية ما بين قديم متروك وجديد متداول –دراسة تحليلية سوسيولوجية– مجلة دفاتر المخابر، مجلد 11، العدد02، الجزائر 2019، ص92.**

[4] **القرآن الكريم، سورة الروم، الآية21،رقم30،رواية حفص، دار الفرقان، دمشق، الطبعة الأولى،1425هـ، ص204**

شروطا وأسس له،ونجد أنّ كل مجتمع مسلم مزج بين الهويّة الإسلامية وهويّة إثنيّته، بمعنى أنّه يحمل خليطا من القيم الإسلامية، والعادات، والمعتقدات التي اختلفت باختلاف البيئة والمحيط.

وضَّحت لنا الرّواية طريقَة تفكير المجتمع التواتي في الزّواج وماهيته، حيثُ نجد أنّه ليس مجرد علاقة بين رجل وامرأة، بل هو مؤسّسة اجتماعية تربط بين عائلتين أو حتّى مجتمعين، مثل زواج أم البطل الشريفية ووالده المرابط، وإنجاب طفلين يحملان خليطًا من كليهما كما في حديث" المرابط "عن أخته – مريمو– وعن **"جمالها الفاتن المختلط بين نطفة المرابطين وبويضة الشرفاء** "[1]وفي وصف آخر له عنها يقول : **"تلك الملاحة الشريفية لأمي المختلطة بالدعّة المرابطية لأبي تظهر على مفاتنها"**[2]، فاختلاط هذين النسبين، أنتج جمالا مُختلفا غير مألوف،فريدا من نوعه في القصر لندرة زواج المرابطين بالشرفاء،و كثيرا ما حدّثنا بطل روايتنا عننسب الشرفاء وبهاء طَلّةِ نسائهم و النّور المشع الذي كان يميز كل من الأم، الخالة والأخت التي اختلطت فيها البشنية المرابطية مع النوارة الشريفية.إنّ تميُز نساء الأشراف عن غيرهم ليس بانتسابهم ل" آل بيت النبي مُحَمَّد ﷺ" فقط بل لما يحملنَه من خصال حميدة و طلعة نائرة ممّا جعل اختيار أبيه لأمه اختيارًا لا يخيب،لشرف النّسب ولحسن الخُلق و الخَلق.

لاحظ الزّيواني اختلاط الألوان والأجناس مُنذ طفولته فكان هذا أوّل تساؤل بريء خطر على باله،وحاول في مراحله العُمرية فك هذا اللّغز المحير بالنسبة له،فأدرك مع مرور الأعوام خلفية اختلاف ألوان وصفات الأطفال من جيله،فكان زواج الرجل التّواتي بالطارقية "بكّة"علاقة أنتجت اختلافًا آخر في توآت بإنجابهما طفلهما "ميني" وحمله لبعض الملامح التواتية، وكذا لصفات أمهالتي اتّسمت بكل معايير الجمال و الأنوثة والذّكاء الوقاد،والمعروف عن المرأة الطارقية مكانتها المتميزة في مجتمعها وسيادتها فيه كونه مجتمع أموسي"**يعترف بأولوية (البطن على الظهر) أي أنّ الانتساب و القرابة**

[1] **حاج أحمد الصديق،مملكة الزيوان، دار فسيرا للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط1، 2013ص11**

[2] **المصدر نفسه،ص 90**

و الجاه تكون من جهة الأم لا الأب "[1]عكس مكانة المرأة التواتية في مجتمعها الآبوسي حيث المرأة تأخذ النسب الأبوي الذي"**يعني في الاستخدام الحديث أولئك الأشخاص الذين يرتبطون ببعضهم البعض من ناحية الذكور فقط. لذا يعد هذا المصطلح مرادفا للانتساب للأب"**[2]، فاختيار الزّجللمرأة الطارقية غالبا ما يكون صائبا لما تحمله من مميزات، اتّضح أنّ اختلاف الألوان سببه الزّواج بنساء من مجتمعات مختلفة كزواج "الغيواني" من "منوبية التونسية" وإنجابهما ل «**التمرة التواتية الهجينة بينهما"**[3]،وزواج "سيد الهوصاوي"بأمتهوإنجابهما "لسيد الدولة".

تتباين أسباب الزواج من نساء غير تواتيات باختلاف الحالات فمنهم مَنْ تزوّج للحسب والنّسب، ومنهم من تزوج بسبب الهجرة والاستقرار خارج توات، ومنهم من تزوج من أجل الميراث، ومنهم من أرادالخلفة كسيد الهوصاوي"**الذي تزوج بأمته بيدارية،بعدما فقدزوجته الحُرة أعْوَيْشةفي بداية شبابه،ولم تنجب له خلفاً،ففكّر في الزواج بأمته البيدارية،حيث يتزوج الرّجل أمته للخلافة وإنجاب الذكور أكثر من الإناث "** [4]فرسم هذا الاختلاف لوحة فنّية لقيمة التنوع والاختلاف في المجتمع التواتي.

تختلف دوافع اختيار الزّوجة في المجتمع الزيواني، لكن أغلب شباب القصر جعلوا من الميراث المعيار الأوّل في اختيار الشّريكة،فمن لا ترث كحال" مريمو"مصيرها البُوَار حيث يقول المرابط:"**لم يكن بخَاف عن أختي مريمو،رغم جمالها وأنّ مصيرها البوار،لكون شباب القصر،من بني عمومتنا،أو من غيرهم،ينظرون للمرأة من جهة الميراث،لا من باب ما يقصد و يطلب بإلحاح من مرغوب الرّجال في النساء "**[5].وفي دين الإسلام ليس الإرث المعيار الأساسي للزّواج وقد أشار

[1] رمضان يحنوني ، الكلمة والنغم والحركة وسيادة المرأة التارقية، مجلة حوليات التراث، العدد 11، الجزائر ،2011، ص 1

[2] شارلوت سيمور سميث،موسوعة علم الإنسان المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية،ترجمة:مجموعة من الأساتذة،المركز القومي للترجمة،القاهرة،مصر،ط2009،2،ص430

[3] حاج أحمد الصديق،مملكة الزيوان،ص 101

[4] المصدر نفسه،ص 65

[5] المصدر نفسه،ص90.

الرسول ﷺ لأهم معيار في الاختيار ألا وهو"الدين"وذلك لقوله ﷺ في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه :" **تنكح المرأة لأربع : لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك.**" [1]، ومنه فالنّبي عليه أفضل الصلاة والسّلام بيّنَ في حديثه المعايير التي تجذب الرّجل لاختيار زوجته من مال وحسب وجمال ودين، فما ذكره أولاً هو المغريات وما حثّ عليه أخيرًا هوالأساس، وهو فاتح أبواب الجنّة فلا المال ولا الجمال يقوّي العلاقة الزّوجية،لهذا فالظّفر بذات الدّين فوز بالدّارين الدنيا وكذا الآخرة،وبالتفاتنا للمرأة فقد كرَّمها الإسلام وظلمها النظام البطريركي السّائد في مجتمع توّات الذي حرمها من الدراسة والعمل والإرث ورفع معايير اختيارها،فأضحى الزّواج حُلماً منسياً بالنسبة لها.

أمّا الزّواج عن حب، فكان أندر ما يُسمع في القصر، فحتّى الحالات النّادرة التي يصيبها الحُب تبقى مُستترة بين الإنسان وقلبه، ففي الرّواية تكلّم"الصديق" عن حب"الشلالي" للجنية "مروشة" فكان تقريبا الحب الوحيد الذي جَهر به صاحبه، وهذا ما حدّثنا عنه المرابط في قوله:"**في حدود علمي و مبلغ سمعي،أنّي أكاد أكون الأول والوحيد الذي صرّح جهاراً بممارسته لطقوس الغرام،بناحية خط جريد توات،قد تكون ثمة تجارب قبلي،لكنها على أيَّة حال،تبقى خفية ومحتشمة،إذا ما استثنيت تلك الرّواية الغرامية الاسطورية،التي روتها لي عمَّتِي نفوسة،عن حب الشلالي وغرامه بمروشة**"[2]،حيث يُعتبر الحب من طابوهات المجتمع التواتي،وتأخذ العائلات حذرها منه فتفصل البنت عن الولد عند بلوغها، أو حتى بداية بروز مفاتنها لتفادي الإعجاب أو التقرُّب بين الجنسين، فتحتجب الفتاة حتّى يحين وقت زواجها بمن يختارها،كما ينظر للحب على أنّه داء وعلّة إن أصابت الشّخص صعُب الشفاء منها وهذا ما جرى" للمرابط"الذي فُطر قلبه وتعب جسده بسبب هذا المرض الذي اجتاح قلبه دون سابق إنذار لقوله :"**فأصابني إحباط كبير و كما كثُر فيّ**

---

[1] **مسلم بن الحاج القشيري النيسابوري،صحيح مسلم،تحقيق:مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي،الجزء02،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه،د ط،القاهرة1955م، ص1086.**

[2] **حاج أحمد الصديق،مملكة الزيوان،ص 113.**

الانطواء،و قلّة القوت،ما زاد من نحافتي بشكل غير مستور...ما أصابني،هو من حبي وعشقي لميْزار"[1].

والفتاة التوّاتية ليس لها أدنى فكرة عن معنى كلمة الحب، أو رموزه، على عكس "أميزار"الفتاة التّونسية المتعلّمة والمطلعة علما يجول خارج القصر التّواتي، الذي ما يكاد يكون قفصًا لأهله.وقع البطل في صراع نفسي بين التقاليد الصارمة من ناحية الحب، وبين الجهر به الذي هو من مظاهر الحداثة والمعاصرة.ورغم الجهر به في وقتنا إلا أنّه مازال ضعيفاً في المجتمع العربي وحتى الغربي،حيث يرى**إريك فروم(FrommErich)**الحب في الحضارة الغربية المعاصرة **"بمعانيه المعروفة التي تشمل الحب "الأخوي والأمومي والجنسي"قد اندثر وحلّت محله أنواع أخرى من الحب الزائف"**[2]،ويبقى الحب ظاهرة معقدة في كل المجتمعات وفي كل الأزمنة.

يستحسن أهل القصر زواج الأقارب الذي يعتبر"**ظاهرة اجتماعية ذات ارتباط جذري بالعادات والتقاليد وننظر إليها على أنها مصدر أمان اجتماعي واستقرار عائلي،وهو جزء لا يتجزأ من الثقافة الاجتماعية السائدة حتّى يومنا هذا في البلاد العربية فابن العم وابن الخال أولى بالفتاة منالشخص الغريب"**[3]،والمجتمع الجزائري من بين المجتمعات الّتي تحتضن هذه الظاهرة،ونجد بعض الدراسات الإحصائية بعد الاستقلال في الجزائر تُشير إلى نموذج زواج الأقارب حسب ما يوضّحه الجدول التالي:

[1] **المصدر نفسه، ص 114.**

[2] **علي طاهر لقواس، الحب...كحل لأزمة الإنسان المعاصر عند "إريك فروم "مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، المجلد07، العدد03، الجزائر 2022 7، ص 86.**

[3] **أمال بن سعدة و أ.محمّد دلاسي (زواج الأقارب وتأثيره على الصحة الإنجابية) مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 27، الجزائر 2017، ص 91.**

السنة روابط / القرابة	1970	1986	1992	2002
ابن العم	23.3	27.0	25.6	22.0
صِلات أخرى	8.7	11.1	9.0	11.3

[1] نلاحظ من خلال الجدول السّابق أنّ نسبة الزواج القرابي متباين من سنة إلى أخرى، وفي سنة 1986 بدأت نسبة الزّواج بابن العم بالتزايد، وانخفضت مرة أخرى سنة 1992 ،واستمرّت بالانخفاض حتى 2002،أمّا الصلات القرابية الأخرى فبقيت بين التناقص والتزايد.

ونجد في الرواية تَمَظْهُرْ الزواج القرابي في ارتياح أهل" أميزار" لطلب "المرابط" الزواج منها كونه من أبناء عمومة والدها،فالزواج من الأقارب له مزايا عديدة؛حيث يحقق التوافق الثقافي والفكري،كما يُقوّي ويقرب العائلتين، ويحقق التماسك الأسري ممّا يجعل العائلتين يوفران الدعم للزوجين في حال وقوع أي أشكال بينهما.وبهذا جعلنا الراوي نلاحظ التناقضات الاجتماعية التي تطرحها الرواية، والصراع الذي يواجهه البطل، وموقفه بين الحداثة والتقاليد،وبين الحب الدخيل على المجتمع التواتي وأصول الزواج، أو المعايير اللاّزمة لاختيار الزوجة،فللعائلة وجهة نظر حول الزّواج والقرار الأخير بيدها وهي من تحدد المعايير والشروط في اغلب الأحيان و"**كقاعدة عامة في الجزائر الزواج تقرره**

[1] **نسيمة داود ، التحولات السوسيوديموغرافية لظاهرة الزواج في المجتمع الجزائري، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 4، العدد2، الجزائر،2015، ص 07.**

العائلة"[1].ومماسبق يمكننا تحليل بعض الاختيارات الزوجية من خلال مجموعة من النظريات الموضحة في المخطط الآتي :

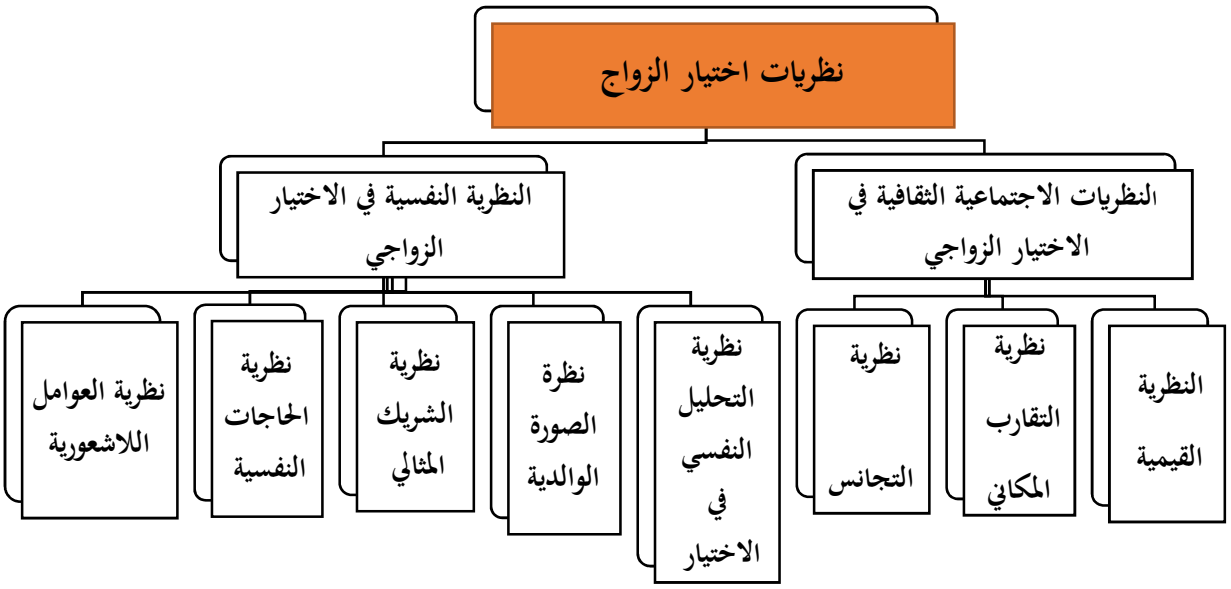

[2]

نلاحظ من خلال هذا المخطط أنّ بعض النظريات الاجتماعية والثقافية لاختيار الزّوَاج معتمدة في الرواية؛حيث نجد في الرسالة الأخيرة من"أميزار"إلى ابن عمها "المرابط" التي تقول فيها:

" إلى ابن عمّنا الزيواني التواتي بالقصر الوسطاني.

علَمتني الحضارة و الثقافة في تونس، أننا نعتذر لمن أخطأنا في حقه يوماً،أعتقد أني بذلك الرّد البربري...،الذي رددت بِه عليكم،أني استحق كل علامات العار وبكل اللّغات و اللهجات،أبارك لكم تخرجكم من الجامعة ،كما أهنئكم على وظيفتكم النبيلة، كأستاذ التاريخ في

[1] المرجع نفسه،ص 03.

[2] الخنساء تومي وأحمد سويسي ، الزواج وتغيير منظومته المجتمعية ما بين قديم متروك وجديد متداول –دراسة تحليلية سوسيولوجية،مرجع سابق ص 15.

الثانوي،ما يمكنني قوله لك أن تقاربنا في التخصص،وهو مزاوجة التاريخ بعلم الآثار،قد يفتح الأمل واسعاً مستقبلاً،في علاقة هياسمى...،كما أن اطلاعي علىحضارة و أثار مملكة الزيوان،جعلتني أطمس تلك الصورة النمطية عن قصري وأصلي،وأخيرا اعتذر لكم لعدم مجيئي،لطارئ طرأ،حال دون لقائنا،وأعدك أنّي سوف أقوم بزيارة خاصة خلال عطلة الشتاء،تقبل تحياتي.

أميزار

"تونس 02/10/19""[1]

تمّ القبول على أساس التوافق الفكري وتقارب مجالَيْ الدراسة "التاريخ وعلم الآثار" وتحقق التجانس الثقافي،كما نلاحظ قبول العائلتين وترحيبهما بهذا الزواج بسبب تحقيق التّشابه و التجانس الاجتماعي، وكذا الثقافي كون العائلتين من مجتمع واحد ويحملان ثقافة واحدة،وهذا ما يسمى ب- **نظرية التجانس**- حيث تفسر هذه الأخيرة **"أن اختيار الزواج يرتكز على أساس من التشابه والتجانس في الخصائص الاجتماعية والسمات الاجتماعية،فالتشابه هو مقوم أساسي للاشتراك حتى في القيم الضرورية التي يجب أن تكون متواجدة عند الشريكين وهي ما عالجته النظرية القيمية المفسرة للاختيار الزواجيمن منظور المقاربة الاجتماعية[2]** "يتفاوت تطبيق هذه النظريات بين المجتمعات المختلفة حسب السياق الثقافي، والمعتقدات السائدة في كل منها.

تغلب في الرواية صلات المودّة والرحمة وحسن المعاشرة، وكذا الاهتمام بين الزوجين،وقد نبهنا"الصديق حاج احمد" في روايته، لاهتمام والد البطل بأوقات النفاس، والحيض، والطهارة، وحرصه الشديد للحضور في أيام طهارتها والدخول عليها بُغية التقرب، والقيام بالواجب الشرعي، وتحقيقه لحق من حقوقهما الزوجية في قوله:"**فقد كان يحرص اشدّ الحرص،ويحسب في عودته ودخوله على**

[1] **حاج أحمد الصديق، مملكة الزيوان، ص129.**

[2] **الخنساء تومي وأحمد سويسي، الزواج وتغيير منظومته المجتمعية ما بين قديم متروك وجديد متداول –دراسة تحليلية سوسيولوجية،مرجع سابق ص 15.**

أمي،لوقت الحيض،والطهر،و النّفاس،إلا إذا نابته نائبة طارئة "[1]، فلا يقترب منها وقت حيضها أو نفاسها ذلك لعدم جواز الجماع في الحالتين لقوله تعالى:{**فَاعْتَزِلُوا النّسَاءَ فِي المَحِيض }** [2]،وهذا مستحب في الدّين الإسلامي،يقول ﷺ"**لَوْ أنَّ أحَدَهُمْ إذا أرادَ أنْ يَأْتِيَ أهْلَهُ قالَ:باسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنا الشَّيْطانَ، وجَنِّبِ الشَّيْطانَ ما رَزَقْتَنا، فإنَّه إنْ يُقَدَّرْ بيْنَهُما ولَدٌ في ذلكَ لَمْ يَضُرَّهُ شيطانٌ أبَدًا**"[3]،ومنه فالاقتراب من الزوجة، والاهتمام بقربها وأيام راحتها يشدّ أواصر الرّحمة، ويُعزز قوة العلاقة الزوجية،ولا يكون القرب في هذه الأخيرة بالقرب الجسدي فقط،فقد أشار الرّاوي إلى نقطة مهمة بين الزّوجين المتمثلة في القرب المعنوي، حيث صوّر لنا اهتمام الزوج بتلمذة زوجته، وإطْلاعها على مختلف الثقافات وتزويدها بما اكتسبه من زاد ثقافي في رحلته في الحياة،وجسد هذه الصورة في شخصية سيد الحاج لعوج، الذي اكتسب معارفاً،من خلال تجاربه في الحياة،"**فتلّمذَ زوجتهُ أمبيريكة عليها،حتى أضحت مميزة بين نساء سلطنتنا الزيوانية**"[4]، مما زادها ووقارًا بين نساء القصر. كما برز لنا اهتمام المرأة بزوجها في حديث الزيواني عن تخلف **النايرة** لانشغالها "**بأمر استقبال زوجها،الذي كان غائباً مع القوافل التجارية الآتية من بلاد السودان**" [5]حيث أنّهاأجّلت أعمالها وتفرّغت لاستقباله دلالة على حسن المعاشرة والقيام بالواجب.

قدّمت لنا الرّواية صورة نظام الزّواج في المجتمع التواتي في صيغة صراع بين التقليد والحداثة،الفرد والجماعة،الذكورة والأنوثة،وفتحت لنا مجال للغوص في التحولات الاجتماعية وتأثيرها على البنى الأسرية.

2.نظام القرابة:

[1] حاج أحمد الصديق،مملكة الزيوان،ص 36.

[2] القرآن الكريم، سورة البقرة،الآية 222،رقم2، رواية حفص، دار الفرقان، دمشق، الطبعة 1، 1425هـ، ص19.

[3] مسلم بن الحاجاج القشيري النيسابوري،صحيح مسلم،تحقيق:محمّد فؤاد عبد الباقي،الجزء02،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه،دط،القاهرة1955م، ص1058

[4]حاج أحمد الصديق،مملكة الزيوان

[5] المصدر نفسهُ،ص 32.

يعد نظام القرابة أحد اهم الدراسات الأنثروبولوجية، وهو من أهم الركائز في التنظيم الإجتماعي، له دور محوري في تكوين الجماعات البشرية وتنظيمها، **"ثم إن أنظمة القرابة، مثل الانظمة الفونولوجية، يعدها العقل على مستوى الفكر غير الواعي، وأخيرا ان معاودة بعض أشكال القرابة، وقواعد الزواج، والمواقف المفروضة بين بعض نماذج الاقارب،الخ. ، في مناطق بعيدة من العالم وفي مجتمعات شديدة الاختلاف، يحمل على الظن بأن الظهرات التي تتسنى ملاحظتها،في الحالتين على السواء،تنتج عن حكم قوانين عامة ولكنها مخفية."**[1]مما يعني أنَّ أنظمة القرابة شأنها شأنَ الأنظمة الصوتية في اللغة، تنتمي إلى بُنى ذهنية عميقة.يقوم نظام القرابة على تنظيم العلاقات الإجتماعية بناءً على مجموعة من الروابط، من بينها الروابط الأسرية.وقد قدّم الكثير من الباحثين والدارسين تعريفات للأسرة من بينها

- ✓ يعرفها"**كونت**" بأنها **الخلية الأولى في جسم المجتمع، وأنها النقطة الأولى التي يبدأ منها التطور، وأنها الوسط الطبيعي الاجتماعي الذي ترعرع فيه الفرد.**
- ✓ ويعرفها **"هربرت سبنسر" بأنّها الوحدة البيولوجية والاجتماعية.**
- ✓ أمّاعالم الاجتماع الأمريكي**"وارد" فيعتبر أنها منبع المشاعر والأحاسيس الإنسانية والتي تشكل قوة اجتماعية.**[2]

تتباين التّعريفات وتختلف من عالم لآخر حسب نظرته للأسرة من عدة جوانب، وهي بصفة عامة مجموعة من الأفراد تربطهم صلة قرابة سواء أكانت صلة دمأو تبني...، وتعتبر اللبنة الأساسية في المجتمع، كما تعتبر مجتمعا مصغرا بالنسبة للفرد عند نشأته، وهي أول ما يكتشفه، وأول علاقاته تكون

[1] كلود ليفي–ستروس، الأنثروبولوجيا البنيوية، ترجمة: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة ولإرشاد القومي، دمشق، سوريا،1977، ص.53

[2] محمَّد الصغير كاوجة ، تمثلات التوافق الزواجي وعلاقته بأساليب المعاملة الزوجية والخلافات الزوجية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 16، الجزائر2014، ص 349.

بينه وبين أفراد أسرته مثل (علاقة الإخوة، علاقة الابنبابنه، علاقة الأم بأبنائها...)، تتنوع وتختلف أشكالها ومن بينها: (الأسرة الحضرية،الأسرة النواة،الأسرة الممتدة) *[1]

تسلط الرّواية الضوء على عائلات القصرحيث نجد أنّ أغلب العائلات خليط من "العائلة النواة والعائلة التقليدية" أي أنّها تتكون من الأب والأموالأبناء الغير متزوجين مثل عائلة الحاج لعوج المكونة (منه ومن زوجته مبيريكة وابنه عليليل)وعائلة البطل المكوّنة من (الأب،الأم الشريفية والأخت والعمة المقيمة معهم لظروف خاصة وكذلك العم حمو)،فهي مركبة من عدد قليل من الأفراد عكس الأسرة الممتدة التي تحتوي عدّة أجيال في منزل واحد،إلاّ أنها تحمل أفكار ومعتقدات وعادات العائلة التقليدية التي تكون فيها السلطة المطلقة للأب أي أنّها تخضع للنظام البطريقي المسيطر على المجتمع التَّواتي أو بالأحرى على أغلب الأُسر الجزائرية حيث تُفرض على الزوجة والبنات مجموعة من القواعد من طرف الأب دون الالتفات إلى آرائهن مثل منعهن من التعليم الذي كان مرفوضا كل الرفض من الأب "**وينظرُ إليه على أنّه أمر مُحرم، وفي أحسن الأحوال،وبعدهداية الآباءواستغفارهم لبرهم،كانوا يسمحون لهن بتعلم القرآن في الكتاب،حتى يبلغن حزب ياسين،أو فوقه قليلاً** "[2].

ينطبق الأمر كذلك على العمل، فالفكرة فيه بحدّ ذاتها غير مقبولة ،وكذا حرية اختيار الزوج، وحرمانهن من الميراث مثل ما جرىلـ**"مَريمو"**والكثير من فتيات القصر من جيلها،كما نلمس في

---

[1] **الزهرة بن شرقية و رشيد زرواتي ، تغير بنية ووظائف الأسرة الحضرية في المجتمع الجزائري، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد16، العدد2، الجزائر 2022، ص 418/ .419**

***الأسرة الحضرية: هي أسر تسكن المدينة واكتسبت أنماطها جديدا من السلوكيات والقيم والعادات، كما أنها تتميز بسرعة تغيرها وتناقص عدد أفرادها وضعف السلطة الأبوية وهي تتكون من الأب وألام والأطفال.**

***الأسرة النواة: تتميز بصغر حجمها، تتكون من زوج وزوجة والأبناء الغير متزوجين، وتتميز بدرجة عالية من الفردية والتحرر من الضبط الأسري، بحيث تعلو المصلحة الفردية على المصلحة العامة للأسرة ككل.**

***الأسرة الممتدة: تتكون من الأجداد والأبناء وأبنائهم الغير متزوجين وأبنائهم المتزوجين وكذلك أحفادهم وفهي بنائيا تتميز من ثلاث أجيال أو أكثر وتتميز بالدعم الاجتماعي، والسلطة الأبوية، وانعدام الخصوصية والاستقلالية في المعيشة ضمن عدد كبير من الأفراد.**

[2] **حاج أحمد الصديق، مملكة الزيوان ص .73**

عائلة"المرابط"عنايتهم بالابن الذكر عنايةً خاصة دون الاهتمام لأخته حيث ذكر أنّها "**لمْ تحظَ بتلك العناية و الحظوة التي حَظيت بِها في مراحل طفولتي الأولى،بالرغم من أنها الولد البكر للبيت**"[1]،فلم يعط اهتمام لها، وقد كانت البنت التواتية"**لا يُسأل عن حالها،ولا يُلتفت إلى مرضها،ويفرح لموتها،ويغضب لولادتها**"[2]،ونجد في عدّة مواضع في الرّواية هذا الإهمال والحقد على البنت مثل قول الرّاوي على لسان أمّها "**مسكينة بنتي مريمو،أصابها أكثر ما أصاب ولدي هذا؛لكن عمتها لم تقلق ولم تلتفت لوجعها،ولا لبكائها،وأن ما كانت تتعلل به دائما في نظرتها غير الرحيمة لمريمو،أنّها لا تغلق الدّار و لا ترث**"،لأنها طوبة ومن سوء حظّها فهي مستبعدة من الميراث لذا تضعها العائلة والمجتمع ككل في الهامش لقول الزيواني:"**البنت غير مرحب بها في قصورنا** "[3]،رغم أنّها أساس الوجود فالفتاة هي الأم والبنت والأخت فلولا البنت" **ما كان أحد في الدنيا**"[4].

تهتم الأُسر الصّحراوية بتقوية الرّوابط القرابية ذلك بإقامة الولائم وهي" **تقع على كل طعامٍ يُتَخذُ لسرور حادث**"[5]،والتجمعات واستدعاء الأقارب من طرف الزوج والزوجة في المناسبات (السبوع، الطهور،النجاحات...الخ) وهذا ما ذكره بطل روايتنا في قوله:"**فأقام والدي وليمة غذائية بمصريتنا البرانية ...أكرم فيها أعمامي الكبار...وحضر من الشّرفاء،مولاي إسماعيل، ومولاي السعيد،ومولاي الزّين، وشيوخ القبائل وأعيانها،وكامل الجيران** "[6]، تعتبر هذه الوليمةجمع وتقريب للقلوب،وشدّ لأواصرالوُد، ومحاولة ترْميم العلاقات المتضررة بسبب الفتن والماديات.

[1] المصدر نفسه ص 20.

[2] المصدر السابق، ص 44.

[3] المصدر نفسه ص 19.

[4] المصدر نفسه ص 43.

[5] شندي إسماعيل، أحكام الوليمة في الفقه الإسلامي، دراسة مقارنة، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد 21، تشرين الأول 2010.

[6] ا حاج أحمد الصديق، مملكة الزيوان ص 27.

وقد كانت هذه الظاهرة منتشرة وتكرّرت عدّة مرّات في الرواية،وقد ساعدت في تقوية بعض الروابط إلا أنّها لمْ تستطع محْوَ الكُره والبُغض من قلوب الأقارِب الحاقدين.ممّا جَسدَ لنَا ثنائية-الخير والشر-،حيث نجد مبادرة عائلة البطل بالتصليح وطلب الود ، تُقابَلُ بالمكر والخديعة ،فلقد تكلم البطل عن المكائد المتكررة التي تعرضت لها والدته من نساء أعمامه،وعن فرحهم لقرح عائلته،وانتكاسهم لفرحهم،وغدرهم لوالده بسبب سواد قلوبهم ونكرهم للملح ولصلة الدم فقال:" **ضحَّت قبيلتنا بوالدي،الذي كان غائبا في تجارته يومها،وقهر عمّي حمُّو من لدن أعمامي الكبار،فأعطت اللّجنة سبختنا الكبيرة لـ أمبارك ولد بوجمعة،الذي كان بها خماساً،وذلك كله بهندسة متقنة من عمي الكبير الحاج قدور،غفر الله لنا وله**"[1]فقد خططهذا الأخيراغتصاب أكبر ممتلكات أخيه وإعطائها خماسه الذي عاشره بالمعروف ليضربه ضربتان في ضربة واحدة بسلبه أغلى ما يملك،وإشعالنار الفتنة بينه وبين خماسه وإغاظته بقلب الموازين،فكان هذا من أبشع ما قام به من نكر للخير وردٍ لهُ بالسوء، وقد عُوقب على طمعه وكل ما فَعله في نهاية المطاف فلم يبقى لهذا الميراث أيّ فائدة بسبب التّحولات الاجتماعية التي طرأت في أواخر الثمانينات.

3. الجيرة والصداقات:

يدل مصطلح"**الجيرة والمجاورة (Neighborhood)في العادة إلى جماعة أولية غير رسمية توجد داخل منطقة أو وحدة إقليمية صغيرة تمثل جزءاً فرعياً من مجتمع محلي أكبر منها،ويسودها إحساس بالوحدة والكيان المحلي،إلى جانب ما تتميز به من علاقات اجتماعية مباشرة وأولية ووثيقة ومستمرة نسبيا**"[2] فهيّ تصنّف من العلاقات الأولية كما أنها من أكثر العلاقات أهمية في المجتمع وقد أوصى الرسول عليه الصلاة والسلام بحسن المجاورة.

[1] **المصدر السابق ص94**

[2] **علي بوزيد، التغير في العلاقات الاجتماعية داخل البيئة العمرانية الجديدة "بمدينة ادرار"، مجلة الحقيقة، العدد 38، الجزائر 2016، ص386.**

ترتبط الصداقات بالجِيرة في كثير من الأحيان، وغالباً ما تتكوَنُ صداقات وطيدة بين الجيران،كحال الصّداقة التي تربط بين (أم البطل وجارتها أمبيريكة) فـ"**هي من صديقاتها العزيزات**"[1]التي تقابِلها صداقة (الأب بجاره الحاج لعوج) ففي الرّواية يتقاسم الجيران الأفراح والأحزان مثل حزن أم البطل "**مع صديقتها أمبيريكة حزناً شديداً**" [2]بسبب وفات زوجها ،كما يقدمون المساعدات لبعض مثل قيام الأم الشريفية "**بمعاونة جارتها أمبيريكة زوجة سيد الحاج لعوج،في فتل الكُسكُس،أو المَرْدود.**"[3]ويقفون موقف الإخوة في المصائب،فتجسّدت صورة التعاون والتضامن في المجتمع التواتي.ولا يمكننا التّعميم في حسن الجيرة والصداقات،فللأسف المجتمع التواتي لا يخلو من الغدر والفتن،حيث نجد علاقات كانت مُتجذرة فسُدت بسبب الطمع والأنانية.

نلاحظ من خلال الرّواية العلاقة الطيبة بين عائلة "أمْبَارك ولد بُوجمعة "لقول المرابط"**أنهم كانوا تابعين لنا في كل شيء وأكلهم من أكلنا،ولباسهم من لباسنا،وبيتهم في بيتنا،لا فرق بيننا وبينهم إلاّ في اللون،والطاقة على العمل والتّحمّل له من عدمه،وكذا ليونة وخشونة كفّ اليد وباطن الرِّجل؛لكن رغم هذا والحقُّ يُذكر أننا عِشنا مع بعضنا خلال تلك المدّة.خلال أيام الثورة الزراعيةعيشة أليفة وديعة،وعشرة مستلطفة لطيفة...**"[4]،تحولت من حب وود، إلى كره ونفور،حتى صداقة "المرابط"الطفولية بـ"الداعلي"تأثرت بالحدثالمشؤوم حيث يقول:"**كما أنّ علاقتي بالداعلي،بدأت تشهد توتراً غير مسبوق بيننا،فبعد أن كان صديقاً ملازماً لي،في حلي وترحالي مذْ وُلدتُ،أضحى عدواً لدوداً،لكون والده قد غصب سبختنا الكبيرة...فبلغ بي الأمر منه،حتى وصل حد الحقد وتمني الموت له ولوالده ووَالِدَتِه**"[5].

[1] حاج أحمد الصديق،مملكة الزيوان ص .49

[2]المصدر نفسه ص .106

[3]المصدر نفسهُ ،ص49

[4]المصدر السابق ص 12

[5]المصدر نفسه ص95

جاء هذا التحول بعد القرار الذي "**صدر مرسومه في 08/11/1972،و القاضي بتحديد ملكية الأراضي،وتأميم الباقيمنها،وتوزيعه على الفلاحين،وكذا إحداث الصندوق الوطني للثورة الزراعية،تحت شعار:(الأرض لمن يخدمها).**"[1]فأحْدث قرار إعادة توزيع الأراضي تحولات اجتماعية صادمة، تلتها صراعات طبقية قلبت تركيبة ***القصر**[2] رأساً على عقب، وأضحى الحّماَسُ في المملكة الزيوانية مَلَّاكاً.ونلمس طبقية المجتمع التواتي في قول الراوي :"**خلخلت الثورة الزراعية أعمدة أبراج قصبة القصر، و قلبت عاليه سافله، وبدأت التحولات الاجتماعية بالقصر، تحدث بشكل محتشم، فبدأ أمبارك يُمنّي نفسه بالصف الثاني بالمسجد، بعد أن كان لا يطمع حتى بالصف الرابع منه**"[3]، فصفوف المسجد الأولى لأسياد القصر،أما الثانية فهي للملاكين وأصحاب الثروة ،ومنه نجد أن المجتمع الزيواني كان قائما على بنية طبقية ونلخص هذه الأخيرة في الهرم الآتي:

[1] **المصدر نفسه ص93.**

* **القصر: هو عبارة عن قرية محصنة أو مجموعة كتل سكنية متراصة وملتحمة فيما بينها، وتمتاز بمسالكها الضيقة والملتوية ...يرتبط في اغلب الأحيان سكانها فيما بينهم من ناحية القرابة، أو مصالح مشتركة ...وتمتاز بناياتها القديمة بالبناء الطوبي وتشتهر بهذا النوع ولايات إدرار التي تضم 299 قصر حسب إحصاءات 2008**

[2] **أحمد هداجي وعلي بوزيد، تغير العلاقات الاجتماعية للأسرة الحضرية دراسة ميدانية لحي 140 مسكن بالمدينة الجديدة الشيخ سيدي مُحَمَّد بلكبير _ أدرار_، مجلةآفاق علمية، المجلد 13، العدد،05 الجزائر 2021، ص 93.**

[3] **حاج أحمد الصديق، مملكة الزيوان، ص 98.**

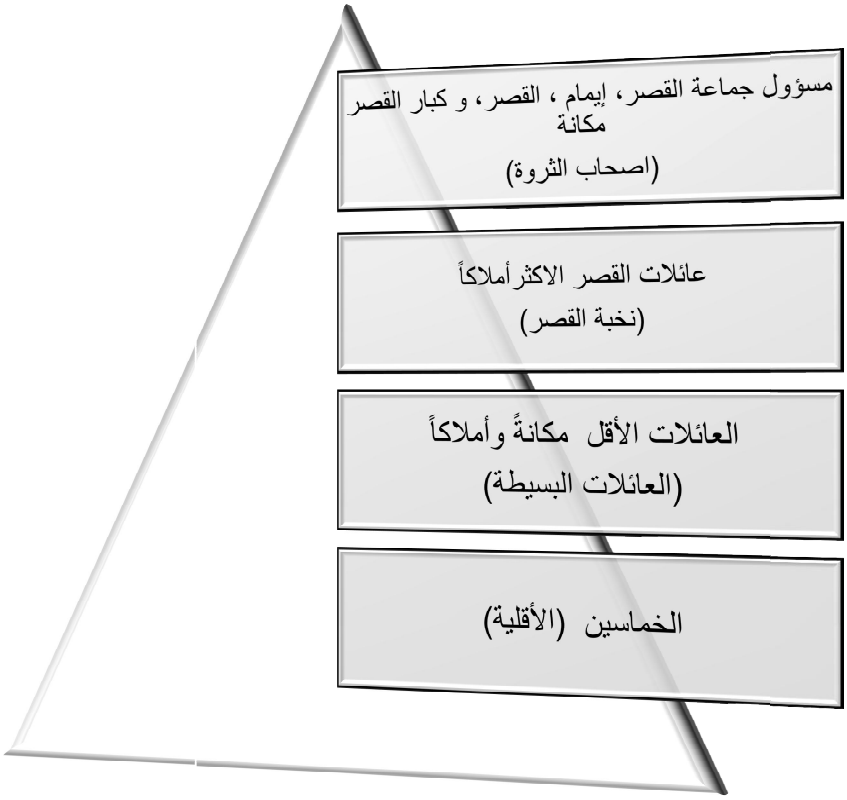

تكْشِفُ الوثيقة السابقة أن الطبقية تشكل بنية معقدة للمملكة، وهي ناتجة عن عوامل تاريخية واقتصادية، وثقافية، ودينية.فمنله السيادة والمكانة الاجتماعية يتربع على عرش الهرم وكذلك الأئمة و شيوخ الزوايا فتشفع لهم مكانتهم الدينية و يحضون بالتقدير و التبجيل والرفعة، ومن له مكانة خاصة بسبب خلفية تاريخية مثل عائلة المرابط ويكون من الطبقات الأولى في المملكة، والطبقات الأخيرة فتبقى للأقل أملاكا والخماسيين أصحاب البشرة الداكنة، فالطبقية في المملكة مرتبطة باللون ارتباطا وثيقا حيث يُقر لنا البطل بهذا قائلاً: " **نعم يا سادتي الأمر يتعلّق بلوني ولون الداعلي، لوني متَمَلِكٌ تملكاً فاحشاً، ولون الداعلي خمّاس، ولا يملك قطميراً، ليس هذا فحسب، لوني متبوع، ولون الداعلي تابع...**"[1]أي انه يوجد طبقتين رئيسيتين متمثلتين في " الطبقة المسيطرة ،و الطبقة الخاضعة "

كان هذا الهيكل الاجتماعي قبل قرار الثورة الزراعية، أما بعدها فتغيرت التشكيلة إلى ما يلي:

[1] **حاج أحمد الصديق،مملكة الزيوان ص 98.**